

جَضَارة التَّعِبُ في الاستالات



270468 9/U

ليفي بروقنسال

الهيئة النام (909 مروية من الندوية النام (909 مروية من الندوية النام (909 مروية من الندوية من الندوية من الندوية من الندوية من الندوية الندوي

## جَضَارة للعَبِ

ىتىجتة دوقان قىقوط

منشورات دارمكتبة الحياة

بننالله الخمالخي

## مقدمة

﴿ فَيْ هَذَا الْحَيَّابِ عَضَى مُوجَرُ لَحَضَارَةِ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسُ ، وَإِبِرَادُ نَزِيهُ لِلرَّوابِطِ الْبِي كَانَت تَرْبُطْ لِلْكَ الْمَصَارَة بِالشَّرِقِ الْعَرِبِ ، كَافِيهِ اعْتِرَافُ صَرِيجٌ لَاسَتَ مَ لَكَضَارَة الْعَربَيَة الْمُعاصِرَة ، الْعَلَيْ عَلَى الْمُحَصَلَة الْعَربَيَة الْمُعاصِرَة ، الْعَلَى الْمُعَلَّمِ الْعَربَية الْمُعَلَّدَة الْعَربَية الْمُعَلَّدَة الْعَربَية الْمُعَلَّدَة وَيَبِرِدُ لَهَا خَواصِهَا بِينَاقُهَا الْاجِمِياعِي وَمُثُلِهَا الْاحْسَانِيَّة وَيَبِرِدُ لَهَا خَواصِهَا بِينَاقُهَا الْاجِمِياعِي وَمُثُلِهَا الْاحْسَانِيَّة وَيَبِرِدُ لَهَا خَواصِهَا بِينَاقُهَا الْاجْمِياعِي وَمُثُلِهَا الْاحْسَانِيَّة وَيَبِرِدُ لَهَا خَواصِهَا بِينَاقُهَا الْاجْمِياعِي وَمُثُلِهَا الْاحْسَانِيَّة وَيَبِرِدُ لَهَا خَواصِهَا بِينَاقُهَا الْوَثِيقِ بِالرَّوْحِ الْعَربَةِ وَالْمُنَاخِ بِينَ الْمُعَلِيقِ اللّهُ اللّهُ وَالْمُنَاخِ بِينَ اللّهُ اللّهُ وَالْمُنَاخِ بِينَ وَلِيلَافِ اللّهُ وَالْمُنَاخِ بِينَ وَمِيلَادُ الْمُنْ وَالْمُنَاخِ بِينَ وَيَهِ لَا لَهُ عَلَى الْمُعَلِيقِ وَلَمُنَاخُ اللّهُ وَلِيلُولُو اللّهُ اللّهُ وَلِيلُولُ وَالْمُنَاخُ وَالْمُنَاخُ بِينَ وَيَهِ لَكُولُولُ الْمُنْ اللّهُ اللّهُ وَلِيلُولُ اللّهُ اللّهُ وَلِيلُولُ وَلِيلُولُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلِيلُولُ اللّهُ وَلَيْنَاخُ وَلَمْ اللّهُ الْمُعَلِيلُهُ وَالْمُنْ اللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلِيلُولُ وَالْمُنَاخُ وَلِيلُولُ وَلِيلُولُ اللّهُ الْمُعْلِيلُ وَلِيلُولُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَالْمُهَا اللّهُ وَلَا الْمُعْمِى وَمُؤْلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمُنْ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ اللّهُ الْمُعْلِيلُولُ وَلِلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

\* دَامَتِ الْأَندَلَسُ بَعدَ ٱلعَرَبُ زَعِيمَةً لِلْفِكِي وَلَلدَنيَةً وَالْمَدَةُ الْفِكِي وَلَلدَنيَةً وَاحْتَفَظَت بَكَامِلِ اشْعَاعِهَا ، فَفَتَنَتْ سَادَتَهَا الْجُدُد، وَاحْدَمَتْ لِلغَرب إلا كَانتُ أَشِينَا لِرُومَا عندَمَا غَدَتُ مَقَاطِعَة في المبراطوريتِهَا. فَرغْمَ كُونِهَا مغلوبَة نَسْتَظِيعُ مَقَاطِعَة في المبراطوريتِهَا. فَرغْمَ كُونِهَا مغلوبَة نَسْتَظِيعُ

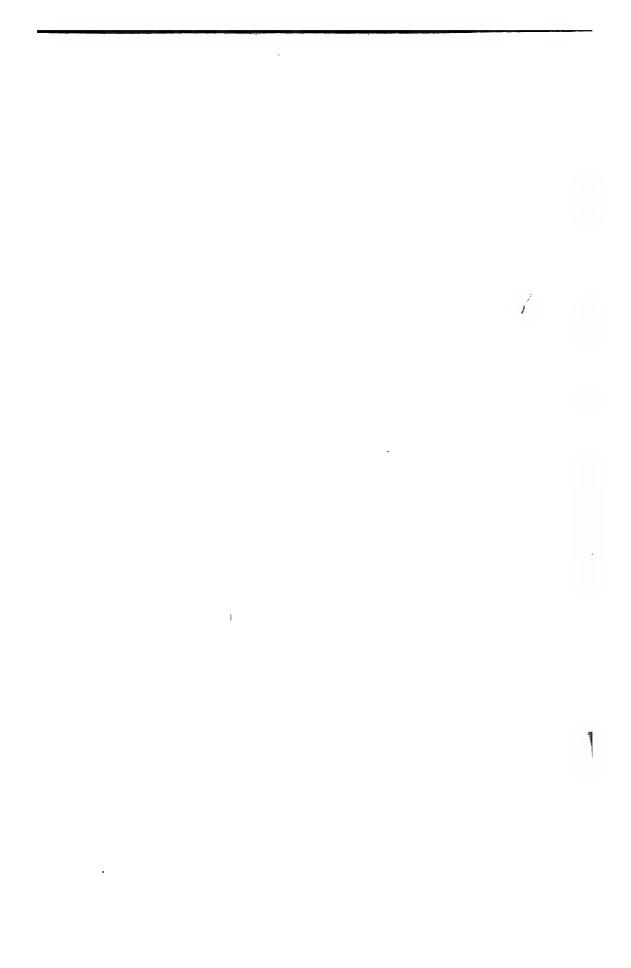
أَن نَقُولَ بِأَنَّهَا اسْتَولَتْ هِيَ نفسهَا عَلَى قَاهِ مِهَا.

﴿ لَمْ تَقِفُ الْأَندَلَسَ عَندُ الْاقْتِبَاسُ عَنْ حَطَهَا وَقِبَعَدَاد ، بَل أَخَذَت تَعَمَلُ عَلَى أَن يَشِعَ نفوذُهَا كُأُمَّ فَي عَظِيمَةٍ مُ تَمَدِّنَةٍ ، إِلَى خَارِج حُدودِهَا.

 « هَذَا مَا يُبَيّنُهُ أَلْوَاثُ في هَذَا الْكَابِ، وَهُوَاعِهَ فَ مَن تَعَرَّضَ لِلحَضَارَةِ الْأندلسيَّة، وَأَنْذَه من ذكى فَضْلَهَا وَعَايَتُهَا.

## الفصش لالأول

الغرب الإسي للمي وألحضارة العرببية الاسيبة انيز



## الغرب الإست الممي والحضّارة العربيّة الاسيبّانية

يبدو ان عدداً ضئيلاً فقط حتى الآن ، من بين مؤرخي الاسلام والمسيحية في القرون الوسطى ، اعتقدوا بأن من الواجب النظر بعين الاعتبار الى تعبير ، هو ، مع ذلك . سهل وكافي الدلالة . هذا التعبير : « الغرب الاسلامي » ، الذي حاول الؤرخون ، بادىء ذي بدء ، الدفاع عنه وتسويغ استعماله الجديد ، فينطبق على الكتلة الجغرافية المتناسقة تناسقاً كافياً ، التي ستشكلها افريقيا الصغرى وشبه جزيرة ايبيريا على تخوم المحيط وعلى جانبي الطرف الاقصى من عالم البحر الابيض المتوسط .

ان هذا الاصطلاح ، من شأنه ان يثير ، في شيء من الوضوح ، ولو في مسامع قليلي الاطلاع ، جملة تتصف بتناسق نسبي ، خليطاً يمكن للمناصر

الاساسية التي يتألف منها ، ان تتميز بسهولة كافية . فالمغرب الاسلامي هو قطعة من العالم القديم توطد فيها الاسلام ، بما حمل معه الى اهلها من بناء اجتاعي ومن مثل اخلاقي ومن ثقافة يمثلها ؛ هده القطعة هي في نفس الوقت ، ارض قصية ، بعيدة عن المركز ، بالنسبة الى المناطق التي شهدت ظهؤر الاسلام ومن ثم مطلع وثبته الرائعة .

كان الناس الى عهد قريب – وما زال بعضهم حتى الآن يسمونها : 

« المغرب » وهدذا تعبير يبدو » لأول وهلة ، مماثلا تماما لتعبير 
« الغرب الاسلامي » ومن شأنه انه لم ينتظر عصرنا هذا » ليدخل في اصطلاحات العرب الجغرافية . فهل نحن بحاجة الى ان نبين ان اسم 
« المغرب » الذي كان في الاصل يعني بلاد البربر واسبانيا مما ، كا يبدو ، 
لم يعد يشمل تونس الحالية ، افريقيا القديمة ، بل شبه جزيرة ايبيريا ، 
اندلس العرب ، وانحال تقلص معناه بسرعة بحيث لم يعد يعين اليوم 
إلا غرب افريقيا الشمالية ؟

من المكن القول بأن في ذلك جدلاً لفظياً بحتاً! على ان الامر الذي كان طبيعياً - كا هو معلوم - ان افريقيا الشمالية واسبانيا قد نشأت بينها علاقات سياسية وصلات ثقافية يقتضيها الجوار ويسهلها ، ولا سيا عندما راحت العقيدة الدينية المشتركة توجه بعض مطامع البلدين ، بل وتوحد بينها ، ولكن ذلك لم يحل دون قيام كيان منفصل لكل من البلدين ، وأن يكون لكليها انظمته المتميزة ، وسلالاته التي تعادي ، احيانا ، السلالات الاخرى ، وأن يكون لكليها ، بعد هذا كله ، مثل أعلى لم يكف الاسلام داغا ، لجعله مشتركا بين البلدين فن الثابت انه ليس من المحتمل ان تكون هذه المزاعم خطأ كلها . كا

انها لا تمثل ايضاً الحقيقة التامة . و فالغرب ، يؤلف وحده من ضمن العالم الاسلامي ، على احد اطرافه القصوى ، عالماً قائماً بنفسه ، ملاصقاً لأوربا المسيحية ، بعيداً ومنفرداً عن الشرق تفصله عنه المسافة والحواجز الطبيعية ، وكثيراً ما كانت هذه الحالة الراهنة شديدة الوطأة على مصائره السياسية وأكثر من ذلك ايضاً ، مؤثرة في نظامه الاجتماعي وثقافته .

ولكي يشعر المرء حتى الشعور بأن بين ما كان في مراكش وجنوب اسبانيا وما هو باق الى الآن ، ليس فقط مجرد مظهر بسيط ، مبهم ، من مظاهر القرابة بينها ، ينبغي له ان يكرن قد عاش سنين طويلة في بلد كمراكش لا يزال يحتفظ بطابع حضارته الوسيطة كا هو، وأكثر من تردده على جنوب اسبانيا وان يكون شغفاً يتفحص الآثار العربية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة من خــلال الجو الرقيق المؤثر الذي يغدرها . وعليه ، بصورة خاصة ، ألا يتنكر للحدس الحي الذي يرسمـــه في الذهن احيانًا طول معاناته للنصوص الاصلية وتأثره اللاشعوري إلها، وألا يقص الرؤى العابرة التي ترتسم ، على أثر اتصاله بالوثائق التي ينشدها ، ثم توضع بوضوح في صور حاضرة ومألوفة . وانه يشعر ، عندئذ ، شعوراً غامضاً في البدء ، أن هذه القرابة ليست طارئة ولا يمكن ان تكون كذلك: سرعان ما تتوالى وجوه الشبه وتتحدد ثم تفرض نفسها . فالغرب الاسلامي بمعطفيه ٬ الافريقي والاوربي ، يبدو ، شيئًا فشيئًا ، في نظر العصر الوسيط ، من خلال ألوانه الحقيقية ، عارياً من الصور الغبراء التي كومها على تخومه مؤرخو الكتب الصفراء ، الذين اهتموا فقط بوقائع مختلف السلالات. وأن المرء ليكتشف ، على الرغم من صروف الدهر ، بأن عاصمة ،مذا الغرب الفكرية بقيت في البدء ، قبل الانتهاء من اعادة الفتح المسيحي في اسبانيا ، قرطبة

ومن ثم في عواصم الاقاليم ، واخيراً في غرناطة . ويلاحظ بأن ارض الاندلس ، أيا كان مركزها السياسي ، لا تفقد ابداً منزلتها كزعيمة للفكر ؛ واحتفظت بكامل اشعاعها ، بعد ان اخضعها ، في قلب الاسلام نفسه ، ملوك افريقيون ، وفتنت بسرعة سادتها الجدد الذين عانوا سحرها فجعلوها على اقامتهم المفضلة . وعلى هذا النحو سيكون ، فيا بعد ، مصير اولئك الفاتحين القساة من القشتاليين فيها . فستكون الاندلس ، سواء لحؤلاء ام لأولئك ، ما كانته اثينا بالنسبة لروما عندما غدت مقاطعة من الامبراطورية . ويجدر بنا ان نتذكر كلمات الشاعر اللاتيني ونحن ننقلها الى هنا : ان اليونان المغلوبة قد استولت هي نفسها على قاهرها الفتاك Craecia capta !

ان تعبير «الغرب الاسلامي» قد لا يجد خصوماً له من اجل تعريفه الخاص فحسب. بل ان له خصوماً آخرين ، ما زالوا كثيرين جهداً في اوروبا ، حتى بين الاخصائيين المرموقين في دراسات العصور الوسطى . يرون ان افريقيا الصغرى واسبانيا ، كليها ، لا يشكلان مطلقاً سوى امتدادات شاسعة وطلال شاحبة الشرق الاسلامي ، هذا الشرق الذي يجب الاعتراف بأنهم لا يزالون يجهلونه تمام الجهل ولا يقدرون حتى التقدير الدور الراجح الذي لعبه خلال العصور في اقتصاد حوض البحر الابيض المتوسط منه انهيار العالم القديم حتى الفترة التي شهدت غروب القرون الوسطى واولى تباشير النزعة الانسانية الناشئة . ونرى ان الحكم السابق نفسه الذي كان يجعل مؤرخين كثيرين جداً يقدرون بيزنطة و بالمقارنة بذكريات روما المظفرة » يدفع هؤلاء المؤرخين الى ألا يروا في المعرب والاندلس ، في العصر الوسيط سوى استمرار هزيل ، في انحطاط سياسي

عميق ، لعصر الاسلام الذهبي في الشرق الذي دونت وقائعه في سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين . ولا يخطر لهؤلاء المؤرخين لحظة واحدة ، لا سيا فيا يتعلق بأسبانيا ، ان يحاولوا اظهار قسطها الهائل في تطور العالم الاوربي الغربي ، منذ القرن الحادي عشر وفي تحسين بعض نواحي الحياة المادية ، وبخاصة فيا فرضت عليه رويداً رويداً ، من شعور بجال للحياة جديد ، هذه الحياة التي كانت تسيطر عليها حتى ذاك الحين ، وفي رهبة المجهول ، صوفية ثقيلة التشاؤم .

وان المرء ليلاحظ هكذا اي مقدار يوحيه ويقتضيه من تطورات هذا التعبير و الفرب الاسلامي » والاعتبارات الاولى التي نحاول جاهدين أن نبرهن بها عليه ، ومن الواجب عدم التردد في تسمية الحضارة التي أزدهرت فيه حتى القرن الخامس عشر و بالحضارة العربية الاسبانية » فانها إذ نشأت نتيجة لمؤثرات مختلفة في شبه الجزيرة نفسها ، قد طفحت بكاملها وعلى نطاق واسع على المغرب ؟ ولم يكن الفن الذي يدعى بالفن بكاملها وعلى نطاق واسع على المغرب ؟ ولم يكن الفن الذي يدعى بالفن فحسب ، كا يظن احيانا . فتلك هي العناصر الرئيسية المؤلفة لهذه فحسد، الحضارة المربية في اسبانيا والخطوط التي تمنحها اصالتها في مختلف الحضارة المربية في اسبانيا والخطوط التي تمنحها اصالتها في مختلف لا تكون مقبولة اذا لم تصحبها تحريات جانبية : لنعرف من جهة ما هي التأشيرات ، التي تكاد تكون مباشرة ، التي مارسها الشرق ، في داخل الاسلام نفسه ، على الغرب ، او التي أثر بها الغرب في الشرق ، على نطاق اضيق بلا شك ، كا يستشف ذلك ؟ ولنتبين ، من جهة ثانية على نطاق اضيق بلا شك ، كا يستشف ذلك ؟ ولنتبين ، من جهة ثانية ما هو التداخل المتبادل بين الاسلام الاسباني والمسيحية الوسطية ؟ تلك

هي المشاكل الخاصة التي نحاول ان نجد بعض عناصر حلما ، طرحناها ، بإيجاز .

ولعله من الصعب ، بل قد يكون من عدم الروية ، ان ندخل في بحث هذه الحضارة الاسبانية العربية ، دون ان ننظر اليها اول الامر وبكثير من التمحيص ، من خلال اطارها الطبيعي الاصيل ، او دون ان ننبسه ، ولو بصورة موجزة ، الى تتابع الظروف السياسية التي سهلت نشوءها وازدهارها . فان لم نفعل ذلك فاننا قد لا ندرك ، إلا بقليل من الوضوح ، مدى الانتشار المتزايد الذي بلغته سواء في حدود مجالها الخاص او في شبه الجزيرة او في اقريقيا الشمالية ؛ وقد لا ندرك كذلك المؤثرات المختلفة السبق قبستها من الشرق ، او بالتهالي السيطرة غير المباشرة ، التي كانت لها بدورها ، على غرب اوربا .

\* \* \*

لعلنا في غير حاجة ، إذ يكاد يكون متفقاً عليه ، الى ذكر التعقيد الجغرافي في حديثنا عن شبه الجزيرة الكبرى التي تحتضن اسبانيا والبرتغال الحاليين ، إذ ما من بلاد تؤلف كتلة كهذه في وضوح حدودها الطبيعية ، وما من بلاد ايضاً تفوق هذه البلاد فيا تبديه من متناقضات داخلية في شكلها الطبيعي وفي مناخها ، وخصب ارضها . وقد اشرنا ، من جهة اخرى ، مراراً من قبل الى وجوه الشبه العميقة التي تتجلى في التشكل الارضي لكل من جنوب اسبانيا وشمال مراكش . هذان البلدان يفصلها حاجز مائي عميق ولكنه ضيق جداً ؛ إلا أن المرء لا يستطيع ، وهو يعبر هذا الحاجز في اي من جهتيه – ونعني به مضيق جبل

طارق - إلا أن يؤخذ بجا يرى من وحدة ، تكاد ان تكون تامة بين مظهري البلدين . فهنا وهناك سلاسل جبلية عظيمة ، تغوص آخر ثناياها في البحر المتوسط ؛ ونرى في هذه الجهة ما نراه في تلك من مزروعات ومن بساتين الاشجار المثمرة وحقول البرتقال والزيتون ؛ وان التشابه ليزداد وضوحاً ، اذا جاز لنا القول ، فيا وراء هذه الجبال ايضاً ، فالفيفاس و Vegas ، الاندلسية الفنية لها ما يقابلها في سهول ايضاً ، فالفيفاس و Gharb ، الاندلسية الفنية لها ما يقابلها في سهول بغد ان ما يقابل مرتفعات المائش المصادة ؛ واذا توغلنا الى ابعد من ذلك ، بحد ان ما يقابل مرتفعات المائش الوسطى إذ أن الفنين ، لشد ما بينها من تشابه متميز ، ما زالوا يطلقون على هذه المسطحات الاسم ما بينها من تشابه متميز ، ما زالوا يطلقون على هذه المسطحات الاسم المدنية ؟ فيا من مدينة من مراكش ، على الاطلاق ، يأهل ، ولو جزءاً المدنية ؟ فيا من مدينة من مراكش ، على الاطلاق ، يأهل ، ولو جزءاً منها ، الموريسك Morisques المسلون ، المطرودون من اسبانيا ، إلا وتحتفظ بشغف حق الآن بطابع مدينتها الاندلسية .

أما الدخول الى شبه الجزيرة الاسبانية الايبيرية فانه يتم في اغلب الاحيان عبر احدى جهتي سلسلة البيرينيه . وما إن يخطو الانسان الى الامام نحو الجنوب حتى يؤخذ بالتضاد بين مناظر البلاد ، تضاداً يبلغ احياناً حد التنافر . وما يلبث جفاف السهل القشتالي العظيم أن يمحى شيئاً فشيئاً ؟ ومن ثم يتهلل وجه اسبانيا العليا الصارم ليبتسم ، عندما يصل المرء الى الاندلس ، ارض المور Maures المفضلة الذين احتلوها مدة ثمانية قرون . انني لم اتحسس هذا السياق من المشاعر ، عندما وطئت قدماي ارض اسبانيا ، لأول مرة ، قادماً اليها من اقصاها الجنوبي ، قدماي ارض اسبانيا ، لأول مرة ، قادماً اليها من اقصاها الجنوبي ،

مبحراً مباشرة من مراكش ، تلك البلاد التي بقيت محافظة وما تزال متمسكة ، مجمية شديدة ، بالاسلام . ومع هذا فلم يداخلني ابداً الشعور بانني قد انتقلت الى عالم آخر . فالأودية العميقة والضياع المعلقة في اعالي السفوح والجو ومشهد الشارع في المدن الصغرى ، حتى وأوضاع الناس ، كل ذلك يتشابه تشابها عجيباً . فلولا اللباس الذي يرتديه الاندلسيون اليوم وكلامهم لأصبح شعور المرم بأنه لم يعبر ممراً بحرياً وأنه ما يزال في افريقيا وهما تاماً . اننا نحس منذ البداية بأن حضارة مشتركة في اطار طبيعي يقدم وجوه شبه عظيمة الى هذا الحد ، تتوفر لها جميع الشروط لتقوم بدورها .

وزيادة على ذلك فان افريقيا الصغرى قد وجدت نفسها مدعوة ، منذ ان وضع العرب يدهم على اسبانيا ، لكي تلعب دوراً هاما في علية الاستيطان في هذه البلاد: إذ أن العلاقات التاريخية بين البلدين في العهد الاسلامي ترجع ، هكذا ، كا نرى ، الى عصور الاسلام الاولى ، منذ نهاية القرن الاول الهجري . ذلك ان الاندلس سرعان ما استقبلت ، بعد ان فتحها برابرة مراكش ، بادى ، ذي بدء ، لحساب الشرق الاسلامي ، كثيراً من العرب الاقحاح ، وفي نفس الوقت ، عدداً اكبر من الافريقيين ايضاً ٢١ . ولم يلبث هـؤلاء وأولئك ان تمازجوا ، اللهم إلا اذا استثنينا بعض الجزائر ، الصغيرة ، الجبلية ، التي بقي سكانها زمنا طويلا ، مستعصين على التحول ؛ وقد شكل اولئك الوافدون نواة الارستقراطية العربيــة والبورجوازية في المدن ، وسرعان ما اخذ عددهم بالازدياد بفضل رصيد على اخذ دخولهم في دين الفاتحين يتزايد يدخلون بمحض ارادتهم ، في الذين اخذ دخولهم في دين الفاتحين يتزايد يدخلون بمحض ارادتهم ، في

اغلب الاحيان ، طمعاً في التخلص من الجزية والاستفادة من ظروف مادية افضل . وقد نتج عن ذلك د ان الصلات ، بين المسلمين القدامى والمسلمين الجدد ازدادت ، على مر الزمن ، توثقاً وتماسكاً بفضل الزواج . لذلك ، فان عرب اسبانيا الذين كانوا ، في العصور التي اعقبت الفتح ، يفخرون اعظم الفخر ، بتحدرهم من اجدادهم في بلاد العرب او سوريا ، كان يجري في عروقهم جميعاً جزء وفير من الدم الاسباني . إذ ما من شك ، انه كان قد حصل ، في ظل الخلافة في قرطبة ، تمازج عرقي هام ، في المدن على الاقل ، بين العرب الخلص والبربر والمولدين » . هذا ما كتبته في مؤلف صدر حديثاً (۳) .

ان امامنا ها هنا بجالاً ، في دراستنا للمؤثرات التي سيؤدي تشابكها الى ولاء حضارة عربية اسبانية اصلية ، لنعين نصيب عرب المشرق ، المهاجرين الى اسبانيا وما يقابله من نصيب المولدين من السكان الاصليين ، في تناسق هذه الحضارة . إلا أننا نقتصر الآن على التنويه اللازم بالمردود الحصب ، الناجم عن والتازج العرقي » الذي أشير اليه قبل قليل . فمننا القرن الثالث الهجري على وجه التقريب او بدءاً من القرن الرابع ، بالتأكيد اصبح هناك ، عدد من السكان المسلمين الاسبانيين ، يشكلون ، بعد ان تكيفوا في موطنهم الجديد ، نواة هامة في مجموع اهالي البلاد العام ، الخاضعين للاسلام ؛ همذه النواة كانت تتزايد باطراد سواء بالمؤمنين الجدد او من جراء تيار الهجرة المتدفق الى شبه الجزيرة الذي سيستمر طويلا او من جراء تيار الهجرة المتدفق الى شبه الجزيرة الذي سيستمر طويلا من المسلمين فيها او المكرمين على النفي اليها . وقد اخذ هؤلاء الاهالي من المسلمين الاندلسيين باستشعار اصائتهم الخاصة والواقعية سواء في مراميهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم السياسية ام في حياتهم الفكرية على نحو اشد ايضاً . ولم يلبثوا ، وهم

المتعلقون بالاسلام وقواعده ومثله الديني الاعلى تعلقاً عنيداً ، أن تميزوا ، على نحو كاف ، في اهم مظاهر حياتهم اليومية : في طريقة الملبس والاساليب المهنية والزراعية ولهذا سرعان ما تبدو ، للأعين بقية العالم الاسلامي ، على انهم ، ان لم يكونوا غرباء عنه ، فانهم على الاقل الما يمتون اليه بقرابة بعيدة ، انهم أشقاء اصبحوا بعيدين بسبب من تراخي الروابط العائلية والاقامة خارج المركز . ثم تأتي الظروف السياسية لتشجع من جهتها ايضا على هذا النوع من القطيعة الروحية ، التي تثبت هكذا شيئا فشيئا ؛ ذلك على هذا النوع من القطيعة الروحية ، التي تثبت هكذا شيئا فشيئا ؛ ذلك ان تفكك الدولة العربية الاولى في الشرق أدى الى فصل اسبانيا عن سادتها البعيدين وما ان جاء اليها احد ورثة اولئك السادة الذين سقطوا من السلطة حتى قدمت نفسها اليه ومنذ ذلك الحين منحت ذاتها صفة الملكة الخاصة ، المستقلة عن كل من افريقيا وآسيا .

\* \* \*

حتى نهاية القرن الثامن ، لم يكن تاريخ اسبانيا الاسلامية في الواقع ، اقل غموضاً من تاريخ بـــلاد البربر في الغرب . فالذين كانوا يعملون او يحاولون العمل على احترام سلطة الرئيس المشترك المقيم في دمشق هم ولاة من العرب ؛ تلك السلطة التي ما فتئت ان صارت اسمية . ولم يكن الغرب الاسلامي يشكل في ذلك الوقت إلا مجموعة من المقاطعات في دولة متسعة الارجاء لم يطل بها الامرحق تفككت اوصالها وتجزأت الى امارات الارجاء لم يطل بها الامرحة تفككت اوصالها وتجزأت الى امارات العباسي، البناء الاموي ، فان سوريا ودمشق قد اتجهتا جهة بغداد والعراق . ولازمت هــــذا التغير في نظام الحكم ، بالضرورة ، اضطرابات عديدة .

وارتحل عن المشرق كثير من المتذمرين ومن ذوى المراتب العربية القدامي ومن الذين فقدوا امتيازاتهم واعطياتهم ، يجذبهم المغرب , وهكذا قدم من هُناك احد امراء البيت المرواني ، يسعى ، في الطرف الاقصى الآخر من العالم الاسلامي؛ وراء طالعه . كانت مراكش اذاً مقراً جميلًا؛ للاستيلاء إلا أن الاسلام كان قد أصيب فيها بنكسة عابرة . ذلك أن القبائل التي ما كادت تدخل في الاسلام حتى أثيرت بدعاية الخوارج ، قد تمكنت من استعادة حريتها القديمة بقوة السلاح فاستيقن القادم الاموي عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام من ان الرياح غير مواتية له ابداً في افريةيا ، ولذلك يم وجهه شطر اسبانيا فاستولى على هذه البلاد وأطاح بالحكم العربي الذي كان يديرها مستقلا بصفة امير من قرطبة ولما تزل سلطته واهية . وأسس تلك الدولة الاموية التي اصبحت ذات مجد أثيل بل على الاصح ، انسه اعاد في الطرف الاقصى من الغرب الاسلامي ، بناء دولة اجداده في دمشق . وسقطت قرطبة في حوزته منذ عام ٧٥٦ أي بعد مرور اقل من نصف قرن على دخولها في سلطة الفاتحين العرب: فجعل منها عاصمته سبق ان لقحت اسبانيا ، قبل قليل ، بقدوم جند Baldj ، بتقليد سوري ، وأخذ يتغلب في البلاد في ظروف سنعود الى بحثها .

وقدم الى ما وراء المضيق. شرقي ، فار" كذلك من سلالة الرسول ، هو ادريس يحاول حظه فابتسم له ؛ الامر ، الذي سيساعد ابنه من بعده ، ادريس الثاني ، في عام ٨٠٨ ، على تأسيس مدينة فاس التي أعدت لتكون عاصمة لملكه . وأسكنها عناصر مدنية أجليت من مقار"ها الخاصة على اثر

بعض الظروف السياسية : اولهم من اهل القيروان ، جاءوا اليها من افريقية المتنا التي ما زالت مشبعة بالمؤثرات الشرقية ؛ ثم تلاهم المرابطون ، من قرطبة ، الذين أجلاهم عن اسبانيا عام ٨١٧ الامير الاموي ، الحكم الاول ، فانتهى تطوافهم في فاس بينا استمر فريق منهم في سيره ، كان أبعد همة من رفاقهم التعساء فاجتاح الاسكندرية على حين غفلة واخيراً انتهى الى الاقامة في جزيرة كريت حيث اقلق سلطة بيزنطة سنين عديدة (٤).

ثم يأتي بعد ذلك القرن التاسع حاملًا معه لاسبانيا المسلمة وكذلك للمغرب ايضاً عصراً شديد الاضطراب. ويبذل حكام قرطبة جميع قواهم لاعادة الهدوء الى ممتلكاتهم . إلا ان حكم عبد الرحمن الثاني جاء متوافقاً مع فترة كافية من التهاون النسبي حيث تكشفت ، كا سنرى عن فاعلية فكرية استثيرت بفعل المؤثرات العباسية غير المباشرة اذ ان الامراء الامويين اخذوا يواجهون مؤامرات خفية ألبُّت عليهم اكثرية رعاياهم : وكان هؤلاء الخارجون على سلطتهم كبار قادة الارستقراطية العسكرية من الجند وسكان الجبال من البربر الذين بسطوا يــد العون ، شأنهم في ذلك شأن عرب السهول ، لتأييد الحركات القومية التي شنها حديثو العهد بالاسلام بمساعدة عناصر الشغب من الجماعات المسيحية المستعربة Mozarabes . وكثيراً ما كان الخطر ماحقاً فنرى امراء قرطبة يغالبون ، على قدر استطاعتهم ، اشد الصعاب فتكاً . وهكذا فان تاريخ البلاد السياسي كان يبدو كانما يخيم علية تهديد الرعايا المولدين والمسيحيين ودائم التعرض ايضاً للأخطار التي يستثيرها أحفاد العرب والبربر. لهذا فاننا في غنى عن الاشارة إلى ان الثقافة الأندلسية كذلك قد عانت في نفس الوقت بعض الاسترخاء : اذ انها كانت ، بالسكاد ، قد تجاوزت سن التكون والنمو .

غير ان الوضع السياسي اخذ يتبدل منذ سني القرن العاشر الاولى . ذلك ان مذا القرن سيسجل في الواقع ، ذروة الحكم الاموي في اسبانيا ، مقارناً باسم عظيم هو اسم عبد الرحمن الثالث ، الناصر ، فان حكه الطويل يقابله في اخبار مسلمي شبه الجزيرة ، ازدهار رائع في جميع مظاهر الفكر ومع هذه الفترة من الاستقرار السياسي والسلام الداخلي لم يكن لها مثيل حتى ذلك الحين. وفي ذات الوقت انطوى الغرب الاسلامي Pour ainsi dire على نفسه - ذلك ان جزءاً كبيراً من مراكش اصبح يدين بالتبعية المباشرة لقرطبة، وقطع الجسور الواهية التي كانت تربطه، نظرياً ، ببقية العالم الاسلامي . وأبلغ دلالة على هذه الانطواءة نجد بيانها في قرار عبد الرحمن الثالث في عدم احترام ما كان يدعى « رمز الحلافة (٥٠) ، شأنه في ذلك شأن فعل أسلافه حتى الآن ، وذلك بفصل الدولة الاموية الاسبانية عن باقي « دار الاسلام ، التي كانت كلها ، من حيث المبدأ تخضع لسلطة الخليفة القائم الروحية ، زعيم الاسلام . كانت الاستمرار في ذكر امم الخليفة المقيم في بغداد لا اسمه بالذات يزعج هذا الامير العظيم ، في خطبة الجمعة التقليدية . الدلك فانه انتحل الألقاب السامية التي كان يحملها منذ قرنين ماضيين اجداء، في دمشق : لقب الخلافة وامير المؤمنين (٦) . فلم يكن هـذا العمل لمجرد ما للرمز من قيمة لا ولا مدى سياسيًا بسيطًا ؛ وانما يبدأ منذ هـذا التاريخ ، في الحقيقة ، رقي الحضارة الاسبانية - العربية الاصيل التي تستمر في تألقها على مر العصور القادمة ، تلك الحضارة التي بقيت عتى ذلك الوقت مفعمة بالمؤثرات الشرقية.

كان قرار خليفة قرطبة الجديد الذي اتخذه: سواء في اعلان استقلاله الدنيوي ام في صدارته الروحية ، في وجه بقية العالم الاسلامي ، قسد

أملته علمه بصرته الحذرة – على وجه الدقة ، على أثر ظهور الحركة الفاطمية وانتصارها المظفر في شمال افريقيا. ذلك ان كثيراً من بلاد الاسلام شهد في هذا العصر انفجار نوع من محيًّا المذاهب الدينية أذ ظهرت الى الوجود عقائد سرية جديدة وكانت تستخدم في اغلب الاحيان وسيلة او مرتقى لثورات سياسية . فبعد إن أتم الفاطميون فتحهم الجديد ، مصر ، وأغرتهم على اتخاذها مقراً نهائياً لهم اصبح هؤلاء الحكام الجدد لافريقيا ، اذا استووا سادة على افريقيا الصغرى وصقلية ووادي النيل كله ، سيشكلون خطراً جسيماً وداهماً على الدولة الاموية في اسبانيا . لهذا كان على المير قرطبة العظيم أن يهتم بشتى الوسائل ليتجنب الخطر الفاطمي الذي بات يخشاه وهو الامير الذي كان يمشل ، في الغرب ، تقاليد الاسلام الاولى والسنة الدينية الصحيحة معاً وقد اصبح سيداً في مملكة واسعة الارجاء ، غنية ، آهلة بالسكان ، عاد السلام يرفرف عليها وأخذ مناهضوه في التقلص شيئًا فشيئًا فان لم يسهر عليها ، سهراً حازماً يطغى عليه الفاطميون الذين بثوا فيها خفية دعاتهم ودعاويهم وانه ، عندما اتخذ قراراً ليس فيما يتعلق بالاحتياطات العسكرية اللازمة للأمن والتي يستدعيها الوضع الخطر فحسب وانما ، بانتحال صفة الخلافـة السامية ايضا ، قد خلق من اسبانيا بلداً اسلامياً جديداً ٤ مملكة متينة البليان متحررة من آخر ما كان بربطها من الالتزامات ، حتى ذلك الوقت ببقية العالم الاسلامي ، دولة قوية تستطيع دول اوروبا الجاورة التعامل والتداول معها. فان باباً جديداً للمخالفات السياسية والمبادلات الصناعية قد انفتح اذاً ، وكذلك ايضاً – كما نستطيم التخمين للتبادل الفكري ولكي تقوم المؤثرات الحضارية بدورها المتبادل .

ان اعظم متمم لهذا التقليد في تشجيع الثقافة الذي بدأه عبد الرحمن الثالث هو ابنه وخليفته الحكم الثاني كا سنرى . وقعد جاء متأخراً الى العرش فكانت مدة حكمه قصيرة جداً . أما رجل التوسع الاموي وأشد الامويين فاعلية في ذلك فانه الدكتاتور المنصور بن ابي عامر الذي يأتي بعد قليل: ذاك الشهير في أخبار اسبانيا المسيحية وأناشيدها الرقيقة. ففي ظل حكمه الفعلي توصلت سلطة اسبانيا العربية الى قمة مجدما في العالم الغربي . ومن ثم ما لبثت ، بعد موت المنصور بسنوات قليلة ، في مطلع القرن الحادي عشر ، ان قامت نجأة ، حرب اهلية لم يسبق لها مثيل ، أطاحت عاصفتها الى الابد بالبناء الذي أقامته المملكة الاموية وأجلته عن قواعده ؟ وذلك على أثر تسرب القواد البربر والصقالبة ، تسرباً غير محدود الى ادارة شؤون الدولة. وهكذا فقد تشكلت في كل جهـة من جهات شبه الجزيرة ، امارات مستقلة ؛ وسيرعان ما أمسك حكام هذ. الامارات - الذين يدعون بملوك الطوائف - بعضهم مخناق بعض وألحق يهم ، الاقوياء منهم ممتلكات الضعفاء او أخضعوهم لولاء مهين وذي تكاليف باهظة . وكانت موجة ﴿ اعادة الفتح ﴾ المسيحي التي عرف الامراء الأول ، اخذت في ذات الوقت ، تتقدم ببطء وانما بقدم ثابتة . وأفاد من ذلك الوضع المضطرب أمير قشتالي عظم ، اسمه الفونس السادس برباطة جأش وصلابة لا نظير لهما ذلك الامير الذي يختفي ظلماً وراء شهرة السيد كاميادور ، قائده المتمرد . وأخيراً سقطت في عام ١٠٨٥ طليطلة عاصمة القوط الغربيين القديمة في يد هذا الأمير وغدت من جديد مسيحية الى الابد (٨) وهي التي أصبحت ، فيا مضى ، مركزاً من أكثر مراكز الحضارة الاسبانية - العربية اشعاعاً.

وعلى عكس ما قد يجق للمرء ان يتوقعه ، فان الثقافة الأندلسية لم تكن بلا ريب ، في يوم من الايام ، أكثر ازدهاراً وخصباً منها خلال هذا القرن الحادي عشر وهو ، مع ذلك القرن المترع بالاضطرابات السياسية ، قد هزته في أعماقه المنازعات الداخلية والتقدم الثابت في حركة «اعادة الفتح ، المسيحي . وقد أتمت اكثر عواصم المقاطعات اهمية ، بما لها من فاعلية فنية وأدبية تهاوي قرطبة الذي بات نهائياً تقريباً . وغدا بلاط ملوك المسلمين في كل من طليطلة وبداجوز Badajoz وفلنسية ودانيا ملوك المسلمين في كل من طليطلة وبداجوز جميعها على حد سواء أماكن لاجتاعات أدبية يتحلق فيها الشعراء والادباء والفنانون والعلماء والفلاسفة والاطباء واخصائيون حقيقيون في العلوم ويعملون ، في ظروف مادية ميسرة حول امراء ، حماة مستنيرين للأدب والعلم وجدوا في صحبتهم خير عزاء لمشاغلهم اليومية في ادارة الحكم . حقاً انه عصر انحطاط سياسي عميق وانما يلازمه تجدد في نتاج الفكر لا مثيل له ، والامثلة على اوضاع مماثلة وثيرة سواء أكان في داخل العالم الاسلامي ام خارجه .

وقد هبط خبر سقوط طليطة على اكاديميات الامراء هذه هبوط الصاعقة اذ هوى بالامراء المسلمين الى الارض اولئك الامراء الذين بددرا قواهم ابعضهم ضد بعض في مشاحنات دامية وأفرغوا رصيدهم المخصص للحرب وأثقلوا كاهل رعاياهم بمطالبهم الاميرية . وعند ذلك فقط تبدت في نظرهم امراكش مراكش التي لم تكن تبدو اغلب الاحيان في نظر اسبانيا ، حتى ذلك التاريخ إلا في ثوب البلد المتأخر تتلوها في مضار الحضارة ، من بعيد الا تصلح إلا الى تغذية جيوشها بالمتطوعين فاذا بها الآن تقوم افي نظرهم بدور المنقد . وكان الصحراويون الذين قدموا من

مناطق قاحلة في الموريتانيا قد أقاموا فيها ، قبل ذلك بوقت قصير دولة هي دولة المرابطين . وكان أميرهم يوسف بن تاشفين قد انتهى ايضاً لل فنح الغرب وتنظيمه ، فالى هذا الامير اضطرت الاندلس ان تتوجه ، طوعاً او كرها ، وان كان عملها هذا لم يخل في الحقيقة من بعض التأفف ، لتتوسل من اجدل دفع الخطر المسيحي الداهم أكثر من أي وقت مضى .

كان هذا العمل - اذا امكننا القول - عندئذ ثأراً سياسياً لأفريقيا المسلمة من اسبانيا المسلمة ، ولكنه - بالنسبة للحضارة - كان ايضا بداية سيطرة جديدة للثقافة الاندلسية على مراكش على نحسو اقوى من اي زمن مضى . وقد سدد يوسف بن تاشفين ، الذي قبل العبور الى اسبانيا لنجدة الامراء المسلمين ، ضربة دامية للجيوش المسيحية في هزيمة الزلاقة في ٢٥ تشرين الاول من عام ١٠٨٦ اي بعد سقوط طليطلة في يد الفونس السادس بعام واحد ، غير انه لم يحسن الاستفادة في الحال من هذه الهزيمة ضد المسيحية. وكان لهذا النصر الذي احرزه الاسلام صدى عظم في كافة ارجاء شبه الجزيرة . فتبادل امراء الطوائف التماني وفاضت قريحة الشعر لدى شعراء المديح . ثم عــاد المنقذ المراكشي ، مظفراً الى دياره ، إلا أن هجوما مسيحياً جديداً اضطر اسبانيا الاسلامية ، بعد بضمة شهور ، الى دعوته من جديد ، ولكنه رجع هذه المرة لعزل كافة الامراء الاندلسيين الصغار عن عروشهم وضم جميع ممتلكاتهم اليه . وكان اول الذين جردوا من املاكهم المعتمد الشهير ملك اشبيلية الشاعر فذهب الى جنوب مراكش ليقضي في المنفى حزيناً بقية ايامه في البؤس. وأصبحت مملكة قرطبة القديمة مقاطمة جديدة في دولة

المرابطين ، ومنذ ذلك الحين حتى نهـاية القرن الحادي عشر تنحط الاندلس سياسياً ، فهي ليست تكوّن غير جزء من دولة اسلامية كبيرة لم تعد قرطبة او اشبيلية عاصمة لها وانما مراكش .

ان حكم امير المرابطين الثاني علي بن يوسف قد شهد، اكثر من حكم الماهل المتحدر من أم اندلسية الى تقليد الحرب ضِــد الكفار ، اولمنك الذين شهد اواخر القرن الحادي عشر نجاح تكاتفهم في شبه الجزيرة الايبيرية . وكان من أثر وجود جيوش المرابطين على الحدود الاسلاميــة انه اعطى سكان تلك البلاد من جديد الضان لأمن لم يعرفوه من قبل. فاستمادت الاندلس في فترة هــــذا السلام نشوتها بالحياة واهتامها في المحافظة على سحرها وتأثيرها الثقافي ، في وقت واحـــد ، على ارضها الخاصة وعلى بقية ممتلكات سادتها الجدد. وعبر المضيق عندئذ كثير من الاسبان ابتغاءً للاستقرار بقرب السلطان ؛ فحوالوا البلاط البربري الصغير في مراكش الى مركز ادبي وعلمي جدير بأولئك الذين لمعوا في شبه الجزيرة ، في القرون السالفة ، في قرطبة وفي عواصم المقاطعات . ولم يكن سلطان المرابطين ليفارق حاشيته من الكتبة ورجال الفقه الاندلسيين الذين اصبحوا اكثر مستشاريه السياسيين نفوذاً . ودل هؤلاء وأولئك ، بالرغم من ابتعادهم عن وطنهم ، على انهم رو"اد اشداء ودعاة مغالون الثقافة العربية الاسبانية المؤتمنين عليها .

وسرعان ما رانت ظلالة هذا المشهد: ذلك ان علماء الفقه الاسبان ، في بلاط المرابطين ، قد جعلوا سادتهم يشاركونهم تمسكهم التقليدي

بعقيدة فقهية جامدة ، مع ان اسلام الشرق كان في تلك الفترة قد تطورا كبيراً فيا يختص بجرفية عقيدته الدينية ان لم يكن في روحها حيث نرى عقلا كبيراً كالغزالي لا يتهيب من أن يعطي عنواناً لكتابه الرئيسي: «احياء علوم الدين». وسرعان ما تصبح محاربة هذه الميول وسيلة لنشوء حركة الموحدين ونجاحها ، تلك الحركة التي كانت تستند في الاصل على اصلاح ديني وخلقي بينا هي معدة لدعم مآرب سياسية فيا بعد . ولم تكن اسبانيا المسلمة لتشهد هذه الحوادث دون مبالاة ، ذلك ان هذه الحوادث ، اذا أعادت اليها شبه استقلال عابر ، ستؤدي الى سقوط المرابطين وإقامة مملكة جديدة هي مملكة المؤمنين . إلا أن ذلك لم يكن ، بالنسبة اليها ايضاً ، يعني إلا تغييراً طفيفاً في نظام الحكم . وكان شأن سادة الاندلس الجدد ، وهم من الافريقيين ايضاً ، شأن اولئك الذين اسقطوهم من الحكم ان خضعوا بسرعة لطابع اسبانيا .

وقد سجل الموحدون، في سجلات وقائع اسبانيا الاسلامية، التي الخضعوها، دون عناء، لعقيدتهم ولشكل حكمهم الخاص، انتصارات عديدة كأسلافهم المرابطين. وفي ذلك الوقت كانت و اعدادة الفتح، المسيحي تتقدم بصورة جليدة، في جنوب شبه الجزيرة بفضل الجهود الموحدة التي بذلها كل من الفونس الثامن ملك قشتالة والفونس الثاني ملك ارغونة. غير ان جيوش الاسلام في اسبانيا انتصرت ايضاً في ١٨ تموز امهور المورد المورد

كذلك كان الموحدون كأسلافهم المرابطين؛ ان لم يفوقوهم ايضاً ، بناة عظاماً ، في اسبانيا وفي مراكش على حد سواء ، فمدينتا مراكش والرباط ، في شمال افريقيا ، هما الى حد ما من صنعهم وقد خلة فوا في اشبيلية ، مدينتهم المفضلة ، الجيرلدا او البرج الذهبي ، وكل آثارهم ضخمة توحي بالجلال ، 'شيدت على نحو رائع ومتناسق ؛ انها عبوس ، عارية من الزخرف ، تتأفف من عبارات المديح لأي امير ولا تقبل إلا بر فحر مناسبة تمتد عرضانيا على شكل افاريز قرآنية (١١٠) . ولدينا الدليل ، هناسبة تمتد عرضانيا على أن هذه الآثار هي من عمل مهندسين معاريين مسلمين من اسبانيا : انهم هم ايضا ، دليل رائع ، خالد على مر العصور ، على قوة أثر الغرب الاسلامي في اسبانيا العصور الوسطى ، وعلى مركز الصدارة التي عرفت الثقافة الاندلسية كيف تحافظ عليها فيها .

لم يدم تألق طالع الموحدين طويلاً بعد حكم مجيد مثل حكم عبد المؤمن وحكم يعقوب المنصور . ذلك ان « اعادة الفتح » المسيحي لم يعد يجد ، بعد زوال هذا العاهل الاخير ، عقبات كثيرة في اسبانيا تقف في وجه ، إذ تنشأ الفتن داخل الاسرة الحاكمة نفسها تجر ، في قلب الدولة الى اضطرابات خطيرة سرعان مسا تؤدي الى انتفاض ممتلكاتهم الاندلسية ضدهم . ثم تتشكل مرة اخرى ، في شرق شبه الجزيرة وجنوبها امارات اسلامية صغيرة في : فلانسيا ومرسيا ونيبلا Niébla إلا أن المسارك المسيحية اخذت تكسب بضربة تلو ضربة نجاخات مدوية . وفي عام المسيحية اخذت تكسب بضربة تلو ضربة نجاخات مدوية . وفي عام الشهيرة بيد فرديناند الثالث . ومن ثم كان جاك الاول ، ملك ارغونة بينا الشهيرة بيد فرديناند الثالث . ومن ثم كان جاك الاول ، ملك ارغونة بينا يستولي على جزر البليار ويمحو من الوجود مملكة فالنسيا العربية بينا

كان ملك قشتالة 'يخضع من جهته مملكة مرسيا الاسلامية ويحاصر اشبيلية التي استسلمت اخيراً عام ١٢٤٨ . وسوف لا يبقى من الاسلام في اسبانيا ، سوى امارة تقلصت الى حدود ولاية غرناطة حيث تتوطد ، حوالي منتصف القرن الثالث عشر ، اقدام النصريين ، الاسرة العربية الصغيرة .

وراحت مملكة غرناطة ، تلك التي كان جميع امرائها تقريباً ، ضعافاً ، يتمتعون بسلطة مرجرجة ، تتعرف على حياة فكرية مترعة في عاصمتها وفي مدينتيها الكبيرتين : مالاقا والمرية ، في القرن الرابع عشر بصورة خاصة . وكان ملوكها ينشئون ، بدافع عاطفي ، الروائع الفنية التي لا مثيل لها من الفن الاسباني – المغربي والتي يشير ذكر اسمائها مجرداً الى عظمتها : الحراء وجنة العريف , Généralife اما الشعر واما النثر الفني فانها يتجليان في ابن الخطيب وفي حلقة الكتاب التي كانت تحيط به ، في ذات الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن بن خلدون ، وهو من اصل اسباني ايضاً يتأمل في المغرب المسائل الاجتاعية التي سيطرحها ويحلها في مقدمته الشهيرة .

سينقضي قرابة قرن ايضاً قبل ان يكلل ملكا الكاثوليكية ، فرديناند الارغوني وايزابيللا القشتالية ، حركة « اعادة الفتح » بالنجاح . إلا أن الحضارة العربية الاسبانية لم تفرق في العدم عندما فتحت غرناطة ابوابها لهذين الملكين في الثاني من كانون الثاني عام ١٤٩٢ وارتفعت راية القديس جاك على قمة الحراء . انها سوف تستمر في ممارسة تأثيرها بعمق ، لا بل اكثر من ذلك ، فانها ستتابعه في اسبانيا المسيحية نفسها دوماً .

وتشاء الضرورة ايضًا بأن تستمر الى حين طرد المغاربة نهائياً ثم تنقل بعد ذلك مراكزها ، حفاظاً على بقية من اشعاعها ، صوب الشواطىء الافريقية وبصورة خاصة الى مراكش وتونس .

وبسبب من ذلك فإن التقاليد الاندلسية ما زالت حتى الآن باقية على حالها في بعض من قرى الساحل التونسي ١١١ وعلى وجه الخصوص في غالبية مدن الشمال المراكشي . وقد تكون هذه التقاليد قد بقيت حتى الآن ابعد اثراً وأكثر تميزاً في الرباط ، مدينة الساحل الاطلسي ، وهي التي عاد الى استيطانها ، في القرن السادس عشر ، المفاربة ( الموريسك ) المهاجرون من منطقة قرطبة . ذلك ان غالبية المسلين من الطبقة البورجوازية فيها ، ما زالت تحمل اسماء اسبانية صرفة مثل : قارقاس ، بالامینو ، مورینو ، روی دیاز ، لوبیز ، بیریز او اسماء مدن شبه الجزیرة ايضاً كاسم روندا ودينيا . وإذا كان ليس في مظهرهم الخارجي ما يفرقهم ، في شوارع المدينة ، عن سائر المراكشيين الاصلاء فان غط حياتهم ، في داخل بيوتهم قسد بقي محافظاً على طابعه الاندلسي . ان زوجاتهم يعاملن معاملة افضل ؟ يدخلن في المناقشات العائلية ولا يعانين ؟ اكثر الاوقات ، من وجود ضرة الى جانبهن . وطريقتهن في تهيئــة انواع الطعام تختلف اختلافاً بيناً عن طرائق سائر البلاد كا انها انواع ، غالبًا ما تحمل اسماء من اصل روماني . ان هؤلاء الاسبان المسلمين هم الحفظة ايضاً لبعض الفنون الحرفية : فالدراسة الاصطلاحات الحرف في المدن المراكشية تدل ، بالاضافة الى ذلك ، دلالة واضحة على نصيب التقليد الاسباني كله سواء ما يعود منه الى الرومان ام الموريسك (١٢). وحيث أنه ليس ما يمنعنا من التفكير على أن الاحتلال الطويل لشمه الجزيرة الايبيرية قد خلف في هذه البلاد طابعاً بعيد الآثر ، فان تأثيراً اسبانياً يسم ايضاً ، بالمقابل حتى الآن حضارة المدن المراكشية في كثير من مظاهرها وكذلك اسلوب حياة سكان المدن من الطبقة البورجوازية . ان العلاقات بين اسبانيا وبين بقية الغرب الاسلامي ما تزال ، على هذا النحو ، حية عبر اكثر من خمسة قرون خلت على شكل مسا ، حتى خارج نطاق التقليد الفني والادبي ، قد بدأ تطور غرب افريقيا الصغرى الحاضر في محاولة للتخفيف منه بنجاح لا بأس به .

\* \* \*

لقد حاولنا فيا تقدم من هذه النظرة العجلى أن نستخلص مراحل تاريخ الحضارة الاسبانية – العربية الكبرى في العصور الوسطى وأن نضعها في الاطار السياسي والاجتاعي ذلك الاطار الذي تكونت داخله في الغرب الاسلامي ثم فرضت نفسها ، آخذة بأهداب الشعور بقوتها وحيويتها بالتدريج . فقد يصبح تكديس جملة من المسلمات مختارة بما بين أيدينا من نتاج الثقافة المتواصل الممثلة بهذه الحضارة ، ضرباً من العبث اذا أردناه الآن . اذ سرعان ما يتخذ ذلك في مثل هذا الوصف التخطيطي ، شكل تعداد بسيط للاسماء والعناوين . والافضل منه ، بلا ريب ألا نتعرض شكل تعداد بسيط للاسماء والعناوين . والافضل منه ، بلا ريب ألا نتعرض الفن والفكر وذلك عندما ندرس ما هي المؤثرات التي أثر بها العالم الاسلامي الشرقي على الثقافة العربية الاسبانية مباشرة او بصورة غير المسلمي الشرقي على الثقافة العربية الاسبانية مباشرة او بصورة غير مباشرة وكذلك تلك التي كانت مدعوة لتقبلها من اوروبا المسيحية او اكثر من هذا ايضاً ، لمهارستها لها بالمقابل . ان الأسماء الكبرى التي يؤكد ترداد

ذكرها على أنها لا تنفصل عن دراسة هذه الحضارة تصبح على هذا النحو أقل انعزالاً بما لو جاءت في عرض جاف للوقائع التاريخية 'يخشى ان يبعث بسرعة الملل في ميل الاطلاع ، وألا تكون له سوى قيمة مستندات بسيطة . ويصبح من الجرأة ، ان نحاول ، من جهة اخرى ، اظهار الصفات الاصيلة الحاصة بهذه الحضارة ، دون أن نبين ، في الوقت ذاته ، مدى ما كان لتقليد الكلاسيكية الشرقية العظيم في اسبانيا ، هاذا التقليد الذي ثابرت اسبانيا على تمسكها به بدقه والذي بات من الضروري ظهوره ، في كل سانحة في أكثر فروع المعرفة التي تلقتها واستنبطتها .

كذلك فاننا سنقتصر الآن على بحث مقتضب في آداب الطبقة النبيلة التي اجتهدت هذه الثقافة الاندلسية ، في كثير من الازمنة المتباعدة ، وهي بكامل وعيها لقيمتها الحقيقية ، في ان تمنحها لنفسها بواسطة اقلام بعض من المعبرين عنها . وان هذه الآداب النبيلة لم تحقق رفعة شأنها في ارض الغرب الاسلامي كلها فحسب بل ومشاركتها الموصولة ايضاً في الجهد التأملي الضخم الذي سيؤدي ، في العصور الوسطى ، الى الانتاج الهائل في الادب العربي .

وعندما نفحص بصورة خاصة وجهسة النظر الاخيرة هسده يجب ان نبين بأنها لم تكن بعيدة عن الاهتامات البالغة التي عاناها بعض من مسلمي اسبانيا ، المنتسبين ، في الاصل ، الى طبقة المولدين الاجتاعية ، وفي وسعهم أن يتألموا ، اذا اقتضى الامر ، من امتيساز العرق ، من جانب مواطنيهم الاندلسيين المتحدرين من أرومة عربية صرفة . ولم يكن هؤلاء المسلمون الجدد (المولدون) غير ناكرين اصلهم فحسب ولكنهم الى حد ما ، كانوا

يستمدون منه فخاراً . فبمنا كانوا ينادون بأنفسهم ابطال السنة الاسلامية والتفوق الذي لا يبارى في لغة القرآن ، فانهم أبوا أن يعترفوا لمثلي العرق العربي الاصيل ، بالصدارة الروحية . تلك هي المسألة التي سببت في الحركة المعروفة بالشعوبية ، وقد 'طرحت ، شذراً ، حيثًا كان في أرجاء العالم الاسلامي؛ واصطنعت ، بحسب الامكنة ، اشكالًا مختلفة ، حتى انها لم تخل ، في بعض الاحيان ، من مطامح سياسية او دينية كا كان شأنها لدى الخوارج والفرس. وفي دراسة جديرة بالتقدير، نشرت في أواخر القرن الماضي أوضح غولدزيهر كيف امتدت هـذه الحركة الشعوبية الى اسبانيا الاسلامية وظهرت فيهما وتطورت (٣). وكان عليها ، في ظل الثقافسة الاندلسية ، ان تلهم في القرن الحادي عشر ، صراعاً ادبياً بين ان غارسيا Ibn Garcia الاندلسي وبين عديد من المعارضين من مواطنيه : وقد نقل الينا الكاتب ابن بسَّام ، صدى هذا الصراع ، في منتخبه الادبي الكبير ، الذخيرة ، وقدم الينا تلك المناظرات. ومن المحتمل ان يكون موضوع « فضائل العرب والعجم » قد أثير ، في اسبانيا ، من قبل العرب وغير العرب ؛ مرات عديدة . وقد قدمت هذه الحركة ببذلها طاقة فائقة ؛ البرهان على أن الحضارة العربية قد ولدت في وسط تناسق موفق يتألف من مشاركة الكلاسيكية المشرقية ومن عناصر جديدة مستقاة من البلاه نفسها ، من بين اولئك الذين ما زالوا يطالبون باعتزاز ، بماض وبتقاليد ثقافية سابقة على الاسلام ، على الرغم من إطباق العبقرية العربيــة عليهم .

كذلك فان المفكر الكرير ابن حزم ، وهو الذي شهد سقوط الأسرة الاموية في قرطبة ، وقد رأى نفسه مدعواً لاتخاذ موقف من هذا الصراع ،

طيلة حياة كانت مضطربة المجرى بقدر ما كانت غنية ، إلا أن موقفه كان على نحو مختلف الى حد ما وذلك من اجل الرد على انتقادات احد كتاب الغيروان الذي كان يعيب على المثقفين الاسبان ظهورهم بمظهر المستخف لاعمال ملوكهم السامية وعدم محافظتهم على ذكرى انتصاراتهم الادبية . فالرسالة التي ألفها ابن حزم في هذه المناسبة (١٤١) . تقدم لائحة تصنيفية مقيدة لثار الفكر الاسباني - العربي : اذ يأتي فيها على ذكر المؤلفات التي ساهم المؤلفات الرئيسية ، مشيراً بفطنة الى قيمتها وهي تلك المؤلفات التي ساهم فيها الاندلسيون حتى زمنه ، في بناء الآداب العربية الجليل ، سواء في العلوم الدينية او الزمنية .

كان الهجاء الذي قومه ابن حزم قد صدر عن القيروان كا رأينا ولم يكن وضع الأمور في نصابها على هـــذا النحو خالياً من الميل . كا ان افريقية ومدنها الكبرى العديدة لم تطالب ابداً ، في العصور الوسطى ، بعلاقات ثقافية مشتركة مع الغرب الاسلامي الأقصى : مراكش واسبانياً . ولما كانت هذه البلاد اقرب الى المشرق والى مصر بصورة خاصة ، فانها كانت تولي وجهها ، بصورة دائمة ، لا صوب المغرب وانما شطر المشرق . وكان عليها ان تنتظر القرن الثاني عشر حتى يصبح تقليد اسبانيا في ظل الموحدين متأصلا فيها .

لأول مرة على أثر ظروف سياسية جديدة ثم يتعمق أولاً على يسد الحفصيين وأخيراً بهجرة عدد وافر من الموريسكيين Morisques للتوطن فيها كان فيليب الثالث قد طردهم عام ١٦٠٩ من شبه جزيرة ايبيريا . وقد جاءت الظروف الجغرافية بصورة طبيعية مع ذلك تساعد الحالة

الراهنة مجيث غدت الجزائر بفضل امتداد بطاحها وسلاسلها الجبلية بين تونس ومراكش ، مهيأة للقيام ، في أغلب الأحيان بدور المنطقة الوسيطة إذ تتلقى المؤثرات بالتناوب؛ بعد صقلها؛ من فاس او من القيروات. فالآثار التي ما زالت قائمة على طرفي بلاد البربر تكفي ، اذا أقتضى الأمر ذلك ، لكي تثبت هذا التباين العميق ذلك ان جامع الفيروان الكبير من جهة وجامع قرطبة ومراكش وفاس من جهة اخرى ، بالنظر الى الطريقة التي تسمح فيها ازمنة بنائها الختلفة بتقارب ما ، تبوح على الرغم مما بينها من بعض أواصر القرابة ، بأنها متشابهة أقل ما يمكن من التشابه . اذ ان الجو ليس واحداً وكذلك البلاد. فقد كانت الأسر القديمة المسلمة دامًا في افريقية ممعنة في شرقيتها. ومها كان اصل الحضارة التي ساعدت تلك الأسر على نهضتها فانها كانت 'تبدي على نحو ثابت قلة اكتراث مستخف بغير عدل ، لا يخلو من غيرة احياناً إزاء كل ما يفيد من ناخية اسبانيا . واجتهد بنو الأغلب ، في البداية ، في ان يجملوا من عاصمتهم مقراً للرد على المؤسسات العباسية . وعندما اختفوا من وجه موجة الفاطميين العارمة جدد هؤلاء الروابط الثقافية القديمة الخاصة بافريقية وصقلية وتوسعوا فيها. فكان هذا التقليد الذي استمر فيه الـ Zirides وعلى الاخص المعز" اعظم عاهل من هذه السلالة . هو ذلك التقليد نفسه ، الذي نراه في ذات الوقت وانما في كثير من التألق ، يتحقق في مصر منذ بداية النصف الشاني من القرن العاشى.

أما بقية المغرب الاسلامي – المغرب الاوسط والمغرب الأقصى على الاخص وهو المدعو مباشرة اكثر من غيره لتلقي مؤثرات الثقافة الاسبانية – فانها قد اتخذت موقفاً ، تحت ضغط الظروف ، مختلفاً عن موقف افريقية .

ولكنها لوحظت مع ذلك وفي بعض المناسبات ؛ عندما اصبحت السلالات البربرية من المرابطين والموحــــدين هي سيدة الارض الاسلامية في شبه الجزيرة ؛ إنها تحاول أن لم يكن أبعاد الوصاية الاسبانية عنها ؛ فعلى الأقل اضعافها الى أدنى حــــد. وفي إلوقت الذي ما زالت فيه ذكري النصر النصر الجديد في الاركوس تبرر ، في الغرب ، دفاعاً عن الوطن Pro domo تتعلق بنوع من المفاخرة العربية فان مطلع القرن الثالث عشر قد شهد ما يشبه تلك المحاولة تحت ستار مباراة خطابية بين اثنين متأدبين: احدهما افريقي والآخر من اصل قرطبي". ان رد المنافح عن الثقافية الاندلسية الذي ما زلنا نحتفظ بنصه كاملاً (١٥٠). يستحق منا الوقوف الاسلامي والحضارة الاسبانية - العربية . ذلك انها وثيقة ؛ اذا طرحنا من صيغتها الجزء المبالغ فيه او المغرض ، تبقى معتبرة في هــــذا الجال لوحة من اللوحات الشاملة المعاصرة وهي اكثر مما نملك دقـة وكمالًا عن التهيئة الاجتاعية والفاعلية الفكرية في اسبانيا العربية والتي توضح ايضاً ، حتى في ذلك العصر المتأخر ، ان البلاد ما زالت تحتفظ بكامل شعورها بصدارتها .

وذات يوم - كا يورد المقرسي Makkari عن ابن سعيد Said الشهير - نشبت مجادلة بين المتأدبين من حاشية احد الامراء الموحدين الذي كان واليا على مدينة سوتا Ceuta الواقعة على مضيق جبل طارق . ذلك ان علمين : احدهما من طنجة والآخر من سيكندا ، من ارباض قرطبة ، اخذا يتناقشان حول تفوق بلد كل منها على الآخر ، وازاء اصرار الطنجاوي على تأكيد افضلية شمال افريقيا السياسية فقد انتهى الطنجاوي على تأكيد افضلية شمال افريقيا السياسية فقد انتهى

السيكندي الاسباني الى ان يصرخ في وجهه قائلاً: « لو لم تكن الاندلس لما تذكر المغرب حتى مجرد الذكر وبقي قابعاً في الظلام! » وحسما للمناظرة فقد امر الحاكم الموحد الادبين أن يضع كل منها رسالة يثبت تفوق بلده الخياص. ففي هـذه الظروف التي هي بلا ريب صحيحة تاريخياً ألتف Shakundi رسالته ولحسن الحظ احتيفظ بنصها الى المناهذه.

يبدأ المؤلف الاندلسي بذكر وقائع تاريخ السلالة الاموية في اسبانيا وافريقيا ويعلن بأن هذه الوقائع تؤيد بسهولة وجه الشبه بيتهسا وبين جلائل اعمال الموحدين التي لا ينكرها ، مع ذلك ، مطلقاً . فهو يعطى امراء الولايات في القرن الحادي عشر حقهم ، إذ يقول انهم « انعشوا سوق العلوم وتنافسوا في تشجيع الشعراء والكتاب ، ويعطي من بينهم لملوك اشبيلية المقام الاول اولئك الملوك الذين يرى انهم فاقوا بني حمدان في حلب فيا ابدوه من اهتمام بالآداب . وقد ابرز تلك الحقبة الزاهرة التي كان فيها الامير الشاعر ، المعتمد ؛ مركزاً تنجذب اليه وتلتف حوله طائفة من الكتاب الرقيقين كابن زيدون وابن اللبَّانة وابن عسَّار. فأنشى للمغرب ، أن يستطيع المفاخرة بفقهاء كابن حبيب وبمفكرين کابن حزم وابن رشد وابن باجے Avempace وباطباء کابن زهر وبمؤرخين كابن حيان وبكتاب نثر فني كمؤلف قلائد العقيان وبمؤرخي ادب كابن بسام وأخيراً بملوك كالمعتمد بن عبّاد . وهل انجب المغرب ' من شمراء يزينون بالوشي الرقيق المواضيع التقليدية الكلاسيكية او الالهام المحلى ، وياونون في قالب جديب الاستعارات التي تنطوي على المرأة المحبوبة وتدل عليها في آن واحد ، ويصفون نضرة الحداثق والغياض والمياه المنسابة ، وعذوبة الاسحار وتلألؤ الاصال ؟ وأنتى للمغرب اخيراً القادة الذين يتتبعون بلا هوادة اثر العدو المسيحي ، فيملأونه رعبا وينتزعون اعجابه ؟ ثم يعدد الكاتب بعد ذلك مدنا اسبانية كثيرة غدت منذ القرن الحادي عشر مراكز للثقافة بعد ان فقدت عاصمة الامويين منزلتها كماصمة علمية . فهو يذكر على التوالي اشبيلية ونهرها وغابات زيتونها التي ألهمت شعراء كثيرين . و Jaén وقلعتها الحصينة ، وغرناطة التي يسميها دمشق الاندلس ، وملقة المدينة التجارية الشهيرة وغرناطة التي يسميها دمشق الاندلس ، وملقة المدينة التجارية المرفأ بمنتجات حقولها من التين والخور « بين حلال وحرام » والمرية المرفأ الزاهر « مَرْقاة الغرب échelle du couchant » حيث كانت تزدحم المراكب التجارية قبل ان تعود محملة بالأقمشة الثمينة الى موانئها في بيزة وجنوة والبندقية او الاسكندرية ، ومرسية مدينة الزهور وأخيرا فالنسية وبحيرتها التي تتلألاً عليها أشعة الشمس المنعكسة .

من هذا ندرك لهجة الزهو التي تبدو مع ذلك اقل نشاراً في نصها العربي منها في الترجمة ، هذه اللهجة التي تلازم من البداية حتى النهاية هذا الدفاع الطويل والذي هو في الوقت نفسه هجوم على الخصم، فعلينا اذن من خلال الاسلوب الذي اعتمده الكاتب ان نرد رسالته الى مقاييسها الصحيحة ، على انه لا ينبغي مطلقاً ان ننكر المدى العميق للصيحة المنيفة المحقة التي قضت بوضع هذه الرسالة : « لو لم تكن الاندلس لما ثذكر المغرب ! » وبقدر ما كان الناس في ذلك العصر على يقين ايضاً من ان احد هذين البدين القريبين جه القرب واحدهما من الآخر وانها

على صلات ضرورية ودائمة ، قد اصبح بلا ريب ، من جراء ضعف مقامه السياسي المتزايد ، تابعاً للآخر على نحو ما ، إلا أنه بالمقابل حافظ على تقليده التمديني سليما ؛ فقدر ما كان صحيحاً ان اسبانيا الاسلامية التي تحولت الى دور التابع السياسي لمراكش ، فقد استمرت مع ذلك ، بأنفة السيد الروحي ، على ان تطبعها بطابع ثقافتها وبعبقريتها .





!

الفصراك

المشرق الإست لامي وأنحضّارة العربيّة الإستبانية



## المشرق الإسٹ لامي وانحضّارة العَربيّة الإسسّانية

ان الاندلس وقد استطالت وديانها الضاحكة وشمخت قمها الجرداء في أقصى الجانب الغربي من العسالم الاسلامي، وقد وجب عليها، بصورة طبيعية ان تتسم اكثر من بلاد المغرب، بدءاً من الزمن الذي ضمها العرب فيه الى ممتلكاتهم، اتسام المقاطعة اللامركزية، ضعيفة الاستجابة المتنظيم والحفاظ على علاقات ثقافية فعالة مع عواصم امبراطورية المنليفة في دمشق اولا وبعدئذ في بغسداد، ولما كانت تقع مباشرة على تخوم عالم مختلف اضطر الاسلام ان يكبح جماح اندفاعه قبالته فقد كانت تجاور ايضاً مكانا خطراً اذ يتوجب عبور مضيق صعب قبل الوصول الى ان تطأ ارضها قدم انسان، ذلك ان يعبر العرب مجراً ما، مها كان ضيقاً، في القرنين الاول والثاني للهجرة على الاقل، مسأنة كانت اصعب من قطع صحراء

شاسعة من اولها الى آخرها. ولا بد من أن نتذكر امر الخليفة الوليد الحذر للقائد موسى بن نصير بأن لا يعرض المسلمين في بعثته التي ينوي القيام بها لأخطار بحر عنيف تثيره ، عادة عواصف هوجاء . إلا ان التقدم الذي احرزه المسلمون بسرعة في فن الملاحة عجل في ازالة دوافع هده الخاوف . ومنذ ذلك الوقت اخذ المشرق ينظم جملة من المعلومات الجغرافية والسياحية عن اسبانيا كان مجرد وجودها يبرهن على توطد علاقدات مبكرة ، من مختلف الانواع ، وبالتأكيد ، تجارية على الاخص ، بين طرفي البحر الابيض المتوسط .

ان المشارقة هم اول من افرد لاسبانيا أبحاثاً وهي وان تكن مقتضبة في الحقيقة اغلبها في المحل الثاني إلا ان مصدرها يجعلها على نحو خاص و واقدم هذه الابحاث وهو ما قام به الفارسي ابن خرداذبه للالمحلف وهو ما قام به الفارسي ابن خرداذبه الله اقل دقة من المحاث الكتاب اللاحقين كاليعقوبي والمقدسي ؟ وعلى كل حال فان الصورة التي تنجح اكثر من غيرها في تصوير موقف فكري اقل عطفا على ملك خلفاء آسيا القديم الذي اصبح فيا بعد امارة أموية اندلسية ، هي تلك الصورة التي يقدمها الجغرافي ابن حوقل ؛ فان هذا الشخص الذي يحتمل المورة التي يقدمها الجغرافي ابن حوقل ؛ فان هذا الشخص الذي يحتمل انه كان عينا للعباسيين او الفاطميين قد زار اسبانيا بنفسه وأقام فيها العاشر . إلا اب ما يمنح قيمة لوصف ابن حوقل هو في ما يسوقه من العاشر . إلا اب ما يمنح قيمة لوصف ابن حوقل هو في ما يسوقه من ادلة نادرة عن حياة البلاد الاجتاعية والاقتصادية ؛ فاننا نجد فيه قائمية بالمنتجات العديدة التي كانت تصدر من الاندلس ، ليس الى بلاد العرب بالمنتجات العديدة التي كانت تصدر من الاندلس ، ليس الى بلاد العرب في ما يسرق فعصب وانما باتجاه مصر ايضا كا اننا نجد تحديدات عن تجارة العبيد في

اوربا - أي الصقالبة باخة ذلك العصر - الذين كان يجلبهم الى اسبانيا المسلمة تجار مختصون ثم يوزعونهم من موانىء الشاطىء الاندلسي الرئيسية على دول شرق البحر الابيض المتوسط . على ان ابن حوقل وهو من لم تكن محاباته محل شبهة ولا يعتبر حكما في صالح سكان مملكة قرطبة فهو يقول عنهم اناس امكانياتهم محدودة ويتقنون ركوب الخيل وجنود لا قيمة لهم ويعجب كيف ان هذه المملكة استطاعت المحافظة على استقلالها ولم تضم حتى الآن الى ممتلكات الخلفاء . ومع ذلك فانه يندهل من مردود الضرائب ومقدار الثروة العامة التي لا تقاس بها سوى ثروة الحدانيين في حلب . وبالتالي فانه ينصف العاصمة قرطبة باظهار بهائها التي ينعتها ببغداد الثانية و كا ينصف جمال المدينة الملكية الزهراء وثراء وفيخامة الحي الارستقراطي في الرصافة .

\* \* \*

ان اسم الرصافة هـذا يذكر ، عندما يرن في السمع بمقر الامارة لحديد المهير وبأيام الحلافة الاموية الجميلة في دمشق فلم يكن اختيار هذا الاسم مطلقاً ، للدلالة على جملة من القصور القائمة على مداخل قرطبة نفسها – من عمل الصدفة المحضة او المطابقة الصرفة ذلك ان الامير عبد الرحمن الاول هو الذي اطلقه بنفسه على احدى مؤسساته المفضلة لكي يحفظ هكذا – في قلب امارته التي هاجر اليها – ذكر الوطن الذي اضطر الى مغادرته والعرش الذي أقصي عنه بكل شراسة . وهـذا دليل فصيح – ان لم تكن هناك ادلة كثيرة غيره على وجود

« تقليد سوري » تأصل في اسبانيا في ذات الوقت الذي كان فيه امير الموي من الشرق يخلق مملكته.

لقد ظهر هذا التقليد السوري في الحقيقة ، منذ البداية في شبه الجزيرة . إذ اجتهد الولاة العرب الذين كانوا نظرياً تابعين للخليفة في آسيا ، على مختلفهم ، بعضهم في اثر بعض ، في تطبيقه . وعندما تمكن جند القائد بلج المشارقة من ايجاد ملاذ في اسبانيا على أثر مغامرة دافئة الصيت واستقروا فيها عام ١٢٥ هجرية فأتاحث هذه المناسبة غير المنتظرة ، العمل ايضا على نشر هــــذا التقليد فيا وراء قرطبة نفسها ، اي في جميع اراضي الاندلس الشرقية والجنوبية . وقد اقطعوا ، جزاء خدماتهم الحربية ، اهم الكور المحاذية للبحر الابيض المتوسط فأطلقوا عليها اسماءهم. وكان جند الشام قد استقروا ضمن هـذه الشروط في نطاق Elvira حول غرناطة وجند الاردن في نطاق Malaga وجند فلسطين في Sidano وجند حمص في اشبيلية وجند قلسيرين في Jaen بينا استقر جند مصر في Béja الواقعة جنوب البرتغال حالياً ، وفي مرسيا (١٦١) ، وهكذا نمت مدر الاندلس الرئيسية منف ذلك الحين بفضل عناصر من سكان جدد سيشكلون نوعاً من الطبقة الحاربة ذات اصل عربي صرف ، تعيش من موارد اقطاعاتها الطائلة التي يتولى استغلالها بالمزارعة فلاحون من السكان الاصليين اقاموا على مسيحيتهم او اصبحوا مسلمين منذ عهد قريب . فقد كان القسم الاعظم من هـذه الارستقراطية الحربية سوري الاصل ، وهذا ما يمكنِّن من القول بحق بأن الاسماء الجغرافية التي جملوها تتغلب في مراكز اقامتهم الجديدة قد شكلت بالنسبة اليهم ، الى جانب الاسماء الامكنة المحلية ، لقبا ، « لقبا من ألقاب النبالة ومبدءاً من مبادىء التضامن » (١٧) .

اننا غلك شتى البراهين على اهتام مؤسس المملكة العربية في اسبانيا ، اهتماماً ثابتاً في منتصف القرن الثاني للهجرة ، في ان يضع دولته واطارها الاجتماعي على منوال سوريا الاموية وان يعضد فيها الى ابعد مدى تقليداً شرقياً . وزيادة على ذلك فان التشابه الجغرافي قــــــــ سهل تحقيق تلك الصورة وكان ، كما نعتقد عام الاعتقاد ، مدعاة لمقارنات عديدة ادبية وشعرية بصورة خاصة ما بين اوراق الفيغاس Vegas الاندلسية الخضراء وبين الغوطة الوارفية في مشارف دمشق وبين نداء الحنين الى نخيل الواحــات السورية (١٨) وحور .« البساتين على ضفاف العــاصي ، . ومن جهة اخرى فان عرب المشرق ، وقد تمرضعوا في اسبانيا من جديد ، ق، حافظوا فيها ، في شكل بقي مدة طويلة لم يمس ، على نوع الحياة لدى اسلافهم: وفي سبيل أن يفقد التقليد العربي الاصيل ، شيئًا فشيئًا ، قليلًا من حدته كان يجب على العرب ان يتكيفوا تكييفًا بطيئًا مع ارض شبه الجزيرة وأن يعقدوا صلات مع السكان الاصليين بدأت متقطعة عن تعمد ثم اصبحت ضرورية على مر الزمن باقبال هؤلاء على اعتناق الاسلام بأعداد متزايدة ، او بالاحرى فان التقليد العربي ، ارتضى ، مع محافظته على مكانته الرفيعة في الرقت ذاته ، بمؤثرات لم يكن له منجى من ارتياضها بحسب النظرية التي دافع عنها وأذاع صيتها تين في القرن التاسع عشر وهي : انحلال العروق وإطار الحياة الطبيعي والظروف التاريخية .

وأخذ التقليد الشرقي يتعمق كذلك منذ ارتقاء عبد الرحمن الاول

الحكم بسبب من قدوم جماعات عربية متوحدة ، كان النجاح في اقدامة دولة اموية يجذبها الى الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط فإننسا نمثر على أثر كثيرين من هؤلاء المهاجرين او كاسمتهم الكتب العربية ، الداخلين ، في انساب الشخصيات النفيرة السبي تزحم قوائم التراجم الاندلسية بأسمائها او قوائم كتب الانساب ايضاً وفي طليعتها جمهرة ابن حزم . وقد شكل هؤلاء المهاجرون مع سلالات الجند الذين استوطنوا من قبل اسبانيا ، الطبقة العربية الاجتاعية التي دعيت بأهل الشام بينا يجمع العرب الآخرون الذين كانوا أول من شارك في الحياة الشام بينا يجمع العرب الآخرون الذين كانوا أول من شارك في الحياة الاجتاعية بعد الفتح مباشرة في طبقة اخرى هي طبقة البلدي . وقد المنت من شارك المان ، وقد الغرب ، ولكي يضعوا حداً لتحريض النزاع العربي القديم (١٩) الكامن ، بين القيسيين واليمنيين ، ذلك النزاع الذي رأينا نطاقه في اسبانيا يتسع على بعد آلاف الكيلومترات زمنا طويلا ، اتساعاً هائلاً حتى ليكاد احتى ليكاد

وعلى كل حال فان الحقد على العباسيين هو الذي ألثف بين شمل التجمعات العربية الاصل وبين النظام الاموي في قرطبة في العصور الاولى من الاحتلال الاسلامي لشبه جزيرة ايبيريا . وعندما كانت تنفجر ثورة ما في اسبانيا ضد العرب فانها انما تحدث حول راية اسياد بغداد السوداء التي كانت تنشر في مثل هذا الظرف ، ويبدو ان ذلك لم يكن بدافع القناعة التامة بالطبع لا ولا نتيجة لدعاية صادرة عن آسيا . ذلك ان العباسيين سرعان ما انصرفوا عن الاهتام بضم اسبانيا الى

ممتلكاتهم : ولم تكن اوروبا الغربية تثير اهمامهم إلا قليلاً جسداً من الناحية السياسية ؛ فان العلاقات الدبلوماسية التي امكن اقامتها ما بين هارون الرشيد وشارلمان كانت في الحقيقة متواضعة جسداً لذلك يجب ردها الى حقيقتها وإن كنا نخشى زوال صورة كانت عزيزة علينا يوم كنا طلاباً . إلا أن الشرق العباسي اخذ يتدخل تدريجياً بصورة غير مباشرة في نظام الحياة في اسبانيا العربية تحت ستار الثقافة فحسب في القرن التاسع ولم يهدف هذا التدخل ازالة التقليد السوري الذي كان دائم الفعالية وإنما لإدخال اكثر الاتجاهات الحضارية في بغداد .

وفي تلك الاثناء حققت اسبانيا المسلمة التي ما زالت مفعمة الى حد بعيد بأثر الشرق اليس وحدتها السياسية فحسب الله ووحدتها الدينية ايضاً . وذلك باتباعها المذهب المالكي نهائياً لم ترتد عنه من بعيد ذلك ابداً وقد حل رسمياً في شبه الجزيرة محل مذهب الاوزاعي في عهد الامير الحكم الاول وبأمر منه على أثر عودة بعض العلماء الاندلسيين من المدينة الى قرطبة حيث كانوا يتابعون تعاليم مالك بن أنس فنقلوا الى الامير المودة التي يكنها عالم المدينة العظيم للمملكة الاموية في المغرب ولسوف يكون لاعتفاق اسبانيا العربية هذا المذهب تأثير رئيسي المعيد المدى على مستقبلها الدؤوب: ذلك ان هذه العقيدة الجديدة التي قوبلت المدى على مستقبلها الدؤوب: ذلك ان هذه العقيدة الجديدة التي قوبلت في ذات الوقت المنفس السرعة الي المغرب ايضاً . فكان عليها ان تنحو منحى المذهب المالكي بذلك السناء الفريد في الدراسات الشرعية الذي لم منحى المذهب المالكي بذلك السناء الفريد في الدراسات الشرعية الذي لم يخب نوره ابداً منذ ذلك الحين ؛ إذ ما زال علم الحقوق يشكل حتى الآن جوهر الفاعلية العلمية في مراكش . ومها يكن من امر ذلك فقد

شهدت اسبانيا منيذ اعتناقها المذهب المالكي نشوء مدرسة ديلية سرعان ما تجاوزت شهرتها حدود العالم المغربي وقيد عمل على اشهارها بالدرجة الاولى اعلام من المجتهدين مثل عبيد المالك بن حبيب صاحب الوديعة وعمد العتبي . أما المحاولات الوجلة التي كانت تصدر عن شخص مثل باقي ابن مخلد لادخال المذهب الشافعي الى اسبانيا ، في النصف الثاني من القرن التاسع فقد بقيت بلا غيد وكذلك تلك المحاولات التي بذلت لاشراك اسبانيا في الحركة الرجعية ، المضادة للحركة العقلية التي كانت تحاول آنئذ في العالم الاسلامي الوقوف في وجه الخطوات التقدمية التي سبق لعلم الفقه ان حققها . ومع ذلك فان هذا لا يعني القول بأن الاندلس ظلت دائماً بمعزل عن الجدل المذهبي ؛ فان سقوط خلافة قرطبة في اواخر القرن العاشر وفي مطلع الحادي عشر سيمهد لهذه المنازعات في الافكار ، في ذلك العصر حيث يسعى شخص كابن حزم من خلال تجديده للمدرسة في ذلك العمل على ان تظفر ، في داخل المذهب المالكي التقليدي ، اتجاهاته الماكسة كحركة مواطنيه المحافظة ،

ويكن الموافقة بسهولة على ان فترات المهادنة السياسية هي دوما اكثر الفترات ملاءمة لازدهار الفكر وتطوره ولعمل المؤثرات الثقافية الاكثر فاعلية وخصباً، ومن اجل ذلك فانه ليجانب الانصاف عدم افرادنا مكانة خاصة بارزة، في وصف نحاول فيه تبيان نصيب الشرق الاسلامي في الحضارة العربية الاسبانية، لأمير قرطبة الرابع عبد الرحمن الثاني قلى الحضارة العربية الاسبانية، لأمير قرطبة الرابع عبد الرحمن الثاني الذي تولى الحكم من عام ١٨٢٢ الى عام ١٨٥٢، مباشرة بعد حكم والده الحكم الاول احد صانعي الوحدة الاموية الاندلسية الذين كانوا أكثر الناس فاعلية. وقد جاءت هذه الفترة الكافية من السلام النسبي في اسبانيا،

متفقة مع تجديد حقيقي ، يستطيع الشرق العباسي ، اكثر من التقليد السوري ، ان يدعي فيه الفضل المنيع ، ان ذلك بقي موضع شك ، بعض الشيء حتى الآن ، ولكن من خلال سلسلة هزيلة من الادلة التاريخية اذ على الرغم من انها مختصرة ومضطربة قد ألهمت دوزي مؤرخ اسبانيا المسلمة المعروف صورة عن حكم عبد الرحمن الثاني وهي ليست اليوم باطلة فحسب . وانما ثبتت بأنها في نتائجها غير صحيحة . وبينا كنا لا نملك بالفعل حتى الوقت الحاضر غير مقاطع اخبار يحول ايجازها دون أية دراسة متعمقة لهذه الحقية ، بله حاسمة للثقافة العربية الاسبانية فقد كان لي الامتياز ، منيا سنوات قليلة ، في اكتشاف تاريخ سياسي وأدبي مفصل جداً عن الاندلس ابن حكم الحكم الاول وعبد الرحمن الثاني (٢٠) انه يكشف ، من عدة وجهات نظر ، آفاقاً جديدة كل الجدة ، عن ازدهار ثقافي كنا نعتقد انه وجهات نظر ، آفاقاً جديدة كل الجدة ، عن ازدهار ثقافي كنا نعتقد انه وعسل متأخراً مائة عام على الاقل بينا هو في الواقع قد بدأ بالظهور ، في شبه الجزيرة منذ بداية النصف الاول من القرن الناسع بتأثير مباشر من الحضارة العربية في الشرق ، المعاصرة للعباسين .

ولدى قراءة اكثر نصوص هذه الوثيقة الجديدة تميزاً فان الامير عبد الرحمن الثاني يبرز منها في ملامح حامي العلماء وصديق الآداب والفنون وبخاصة انه هو نفسه شغوف بكل ما يتصل بعلمي الفلك والنبوءات حتى انه اوفد قبل توليه الحكم عالماً من قرطبة هو عباس بن ناصح الى العراق نفسه متوخيا الآثار العلميه المنقولة الى العرب عن اليونان والفرس واستنساخها له. فقد كان هذا الامير يجد لذة خاصة في دراسة الكتب القديمة في الفلسفة والطب ولكي يشبع رغبته في استطلاع المستقبل احاط نفسه بجهاعة من علماء الفلك وعين لهم رواتب ضخمة وطلب اليهم ان يراقبوا معه

الساء وبجموعاتها الكوكبية للتوصل الى استكشاف طوالعها حتى في أتفسه ظروف الحياة اليومية. ان هذه النصوص الجديدة التي تتعلق به تبدي لنا هذا السيد وقد وزع وقته ما بين مراقبة عديد من الاعمال العمرانية التي أفادتها قرطبة ابان حكمه ٢٦١ وبين الصيد في الوادي الكبير بواسطة الصقور حيث كان الرهاء يُكره على الجري وكان اكثر الطرائد ابتغاء في ذلك الزمن وبين دراسة الساء وبين شؤون الدولة وبين الحلقات الادبية والموسيقية كتلك التي كان انعقادها حتى ذلك الحين نادراً جداً في عاصمة بني امية اسبانيا.

ان الفضل في تنظيم مملكة قرطبة على المثال العباسي يعود لعبد الرحمن الثاني وليس الى سمية على نحو ما كان يسود الاعتقاد الى وقت قريب ، عبد الرحمن الناصر الذي لم يتول الحكم إلا بعد مضي قرن من الزمان . وفي سبيل ألا يبقى امير قرطبة متخلفا عن خلفاء بغداد الذين وصف له عيونه العائدون من الشرق تنسيقهم المتشابك لمرافق الدولة فانه اتبع طريقتهم دون ان يرى في العداوة التقليدية بين الاسرتين ما يعيقه او ينفره من ان ينحو نحوهم . وهكذا نكتشف بأن نظام الادارة في قرطبة قد اصبحت مبادئها على الاقل ، منذ النصف الاول من القرن الشالث قد اصبحت مبادئها على الاقل ، منذ النصف الادارة العباسي ؛ كذلك فان الهجري ، صورة منقولة مباشرة عن نظام الادارة العباسي ؛ كذلك فان تأليف «خدام » الامير بالمعنى القديم لهذا التعبير ، يشير الى تقليد ذلك لدى خلفاء بغداد تقليداً مثيراً للدهشة كا وأنه يتعلق ، فيا وراء قدوته الاسلامية الشرقية هدده ، بعادات الفرس ومملكة الساسانيين . وتشبها بالمباسيين صنع داراً النقود ودشن استمال الحساتم الرسمي وأسس داراً اللطراز إذ نظم مصانع تنتج اقشة وسجاداً من جميع الوجوه بأجمل الطراز إذ نظم مصانع تنتج اقشة وسجاداً من جميع الوجوه بأجمل

مصنوعات الشرق في القرون الوسطى. ولم يكن لدى خلفائه ما يفعلونه سوى تثبيت هذا التقليد الذي ابتدعه وإدخال بعض الضائن التي تمنحه في المستقبل سمتاً اسبانياً خاصاً ولم يقدم هذا التقليد مدة حكمه وخلال عشرات السنين الاولى التي تلت ذلك ؛ اتجاها الى الاصالة بل بقي كا هو بكامله على النحو الذي نقل فيه عن الشرق.

ان المؤرخ الاسباني الكبير احمد الرازي يقدم لنا بدقته الممتادة دونما حاجة الى ان نحمدًل نصه معنى اكثر مما يحتمل أو نضطر إلى قراءة ما بين سطوره ، موطيات مفيدة الى حدد يثير العجب عن النصيب الراجم الذى فاز بـ الشرق الاسلامي في تكوين الثقافة الاندلسية في القرن التاسع. فكل ما كان يفد من بغداد او من المدن الكبرى الاخرى في الامبراطورية العربية كان يستقبل بإعجاب او بامتثال على الاقل في ربوع شبه الجزيرة , وفي رأيه انه كان للمنازعات الداخلية التي كانت عــاصمة العباسيين مسرحاً لهـــا قبل وصول المأمون للحكم ، نتائج غير متوقعة بأن سهلت انتقال الكنوز الملكية التي بددت على أثر نهب قصور بغداد ، الى اسبانما . وهكذا – على حــد قوله – فان عقداً شهيراً كان يخص السلطانة زبيدة قد اشترى في آسيا الحساب الامير الاسباني الذي قدمه ، بدوره ، هدية لاحدى محظماته هي الاميرة شفاء إذ بفضل دخل الخزينة الاندلسية الضخم ازدادت ثروة الامير الخاصة زيادة كافية لتمكنه من شراء حواهر فائقة الثمن وكتب نادرة وأقمشة ثمنة مهما كان سعرهـــا . ولم يتردد بعض التجار النابهين في تحمل السفر الطويل الخطر؛ إلى اسبانما لمقدموا الى سبد البلاد نوادر الاشباء وأثمنها .

وكانت اقامة زرياب المغني المراقي نهائياً في قرطبة عاملاً ، بلا شك ،

من العوامل ذات الاثر البعيد في عودة المملكة الاندلسية من جديد الى الاتجاه نحو الشرق في عهد هذا الامير المستنير . وقد اشار كثير من الرواة من قبل الى قدوم هذه الشخصية ولكن بتفاصيل اقل بكثير من التفاصيل الماثلة في كتاب التاريخ الخطوط . فقد جعل قدومه شهرة فائقة في البلاد لكل ما يرد من الشرق ، لذلك فانه يستحق ألا نكتفي بالمرور به مروراً عابراً بل يجب التوسع فيه بعض الشيء .

ُولد ابو الحسن على بن نافع عام ١٧٣ هـ ( ٧٨٩ م ) في العراق . فقد كان عتيقاً للخليفة العباسي المهدي ولقب زرياباً بسبب من وجهــه النحاسي الغامق واذا صدقنا تراجمته فان هذا الاسمكان يعني طيراً اسود الريش . واشتهر زرياب في سن مبكرة تلميذاً لاسحــاق الموصلي ، الموسيقي والمغني ذائع الصيت في بلاط بغداد . وعرفت موهبته حداً من الشهرة بحيث ان الخليفة هارون طلب من استاذ زرياب احضاره معه ليُظهر مقدرته امامه . ففاق الموسيقار الفق كل حـــد في حضرة الخليفة مما اثار حسد اسحاق الموصلي الى درجة اضطرته لشدة ما خشي منه على حياته اذا اقام في بغداد ، إلى أن يهاجر بعسداً ، ويذهب ، طلباً للثروة في الغرب. وبعد ان مكث مدة قصيرة في القيروان بالمغرب في بلاط زيادة الله الاول الاغلبي اخذ طريق الاندلس ، وكان خبر براعته قد سبقه الى الامير الاموي الحكم الاول في اسبانيا عن طريق الموسيقار اليهودي القرطبي ابو النصر منصور ونزل اليها من البحر في الجزيرة ، وهنا تلقى نبأ وفاة الامير الذي استدعاه وتولي ابنه عبد الرحمن الثاني على ان هذا الاخير اسرع الى ابلاغه بأنه يأخذ تنفيذ عقد والده على عاتقه وأنفذ الى زرياب من الهدايا ما دعا المهاجر الى ان يضع حداً لتردده ويمزم على الاستقرار في اسبانيا بقية ايامه ، ان همذا الموسيقار العراقي وقد استقبله سيد البلاد باهتام بالغ ومنحه 'جعالة ضخمة جمداً بالقياس لذلك العصر وكذلك منزلاً ذا محصول مثمر ، فانه سرعان مسافرض نفسه على المجتمع القرطبي سواء بموهبته الموسيقية أم بثروته المادية . وقد أحدث سخاء الامير الاسباني على زرياب ضجة في العمالم الاسلامي جعلت موسيقار آخر من بغداد Alluyah يستطيع ان يصرح للخليفة المهدي انه بينا لا يسير زرياب - في قرطبة ، إلا في موكب فخم من الفرسان ويملك ثلاثين الف قطعة من الذهب فان حالته هو قمد توشك ان تؤدي به الى الموت من الجوع . كان زرياب عندما وصل الى اسبانيا ان تؤدي به الى الموت من الجوع . كان زرياب عندما وصل الى اسبانيا عام ١٨٠٧ حيث قام بدور الحكم ، بلا منازع ، في مسائل الاناقة والشخصية الاولى في جميع الازياء الجديدة ، التي لم تتغلب منذ ذلك الحين على المظهر الخارجي في المسامين الاندلسيين فحسب بل وعلى نمط حياتهم الخاصة .

وقد برز زرياب بالاستناد الى ما يقوله تراجمة حياته ، في الموسيقى ، مهنته الحقيقية ، بجدداً عبقرياً في الارض المختارة التي أحسنت استقباله : فأوجد معهداً سرعان ما استطاعت فيه الموسيقى الأندلسية التي كانت في البداية وثيقة القرابة بالمدرسة الشرقيسة التي أذاع صيتها اسحاق الموصلي ، ان تكتسب سمات الاصالة التي بقي تقليدها حتى الآن يسري حاراً في كافة الغرب الاسلامي . كذلك فاننا ندين له ، فيا عدا هسندا ، بقضل اختراعات فنية مختلفة كالمود ذي الأوتار الخسة الذي حمل محل العود ذي الأوتار الخسة الذي حمل محل العود في الأوتار الخسة الذي حمل محل العود من الخسب ،

ولكن مها يكن من امر أثر زرياب في قرطبة بوصفه موسيقياً فلربما كان اقل مدى من ذلك الأثر الذي احدثه بآرائه هـذا المشرقي صاحب الذوق الرفيع الذي يجعلنا نفكر ببترون Pétrone وبروميل معًا على المجتمع الاسلامي الارستقراطي المعاصر له . ولنتناول ، كيفها اتفق ، من بين تجديداته التي أسندها اليه المؤرخون في ذلك الوسط الذي بقي محافظًا حتى ذلك الحين ، نمطًا من الحياة ظل على حاله لم يمس تقريبًا منذ اكثر من قرن من الزمان ، منذ تأسيس امارة بني امية . فقد علسم زرياب أهالي قرطبة اولاً اكثر طرائق الطعمام تعقيداً في المطبخ البغدادي (٢٤) ودربهم على كيفية اعداد وجبة راقية : يجب ألا تقدم ألوان الطعام بـــلا نظام وانمــا يبدأ بأطباق الشوربا ويتبعها مقدمات من اللحم ثم ألوان الطيور المتبلة بالبهارات بمستوى الذبوق الرفيع وفي النهاية تأتي الاطباق المحلاة ؛ الكاتو المصنوع من الجوز واللوز والعسل او معقود الفواكه المعطرة ( الممزوجة Vanillées ) المحشوة بالفستق والبندق ، واستبدل أغطية الموائد القطنية الخشنة بنوع من الجلد الرقيق كما برهن كيف تكون اقداح الزجاج الثمين اكثر ملاءمة مع اناقة المائدة من طاسات الفضة او الذهب. والخلاصة فانه قد فتح معهداً حقيقياً للجال. اذا أمكننا القول - في قرطبة حيث كان يُلقن فن التبرج والتخصب ونتف الشعر واستعمال معجون الأسنان وهندمة الرأس وذلك بألا تترك خصل الشعر متفرقة في وسط الرأس تنحدر على الجبهة وعلى جانبيه فتغطي الصدغين وانمسا بحسر الشعر الى الوراء ثم طيّه طيا قصيراً على شكل دوائر مجيث يكشف هكذا عن الحاجبين والاذنين وقفا العنق . فقد وضع مفكرة للزي تقضي بأن 'يلبس  الفصل الذي تلبس فيه ثياب الحرير الخفيف وسترات ذات ألوان زاهية ، أما الفراء المبطن ومعاطف الفراء فللشتاء . وكان الناس يلتمسون آراءه فيطبقونها نصا وروحاً . فما من أثر للحضارة العباسية الراقية الانيقة كان في مستطاعه ان يكون اكار نفاذاً بصورة مباشرة ولا أبعد عمقا كذلك . ونزولا عند رأي زرياب المطلق الذي كان يقبل بلا تردد بدال البلاط والمدينة أزياءهم وأثاث منازلهم وأساليب طبخهم حتى ان اسم بترون العربي دام ايضاً بعد ذلك عدة قرون يتردد كاما اخد زي مبتكر بالظهور في صالونات شبه الجزيرة .

وعلى ما يظهر كانت بداية التأثير الراجح الذي اخذت النساء تقمن به في اوساط المجتمع القرطبي المئقفة ، في عصر عبد الرحمن الثياني وسرعان ما تبين ان القصر الملكي ضيق جداً ، من حيث السعة والزخرف الضروريين ، لايواء محظيات الامير العديدات وجميعهن شهيرات في التنافس على الجيال والثقافة والتقوى كذلك : فكل واحدة منهن عملت ، من حسابها الخاص على بنساء جامع او سبيل ماء يحمل اسمها في قرطبة ، ويجعل دوزي من احدى هاتيك الاميرات – طروب – حابكة للدسائس ، ويحمل دوزي من احدى هاتيك الاميرات المرب على الموضوح بأن مفضلات الامير هن اولئك اللواتي كان يطلق عليهن لقب « المدينيات مفضلات الامير هن اولئك اللواتي كان يطلق عليهن لقب « المدينيات الثلاث ، وهن باعتبار ان كلا منهن انجبت له مولوداً ذكراً كن يتمتمن عبركز «أم ولد» او الاميرة الأم المرموقة ، وقد سبق لاحداهن وهي فضل أن نشأت في بلاط هارون الرشيد حيث تلقت تربيسة شمرية وموسيقية لا مثيل لها ، وأرسلت من بغداد الى المدينة فاستطاع رسل الامير الحصول عليها لحساب سيدهم مع اثنتين لم تكونا اقل منها جمالاً

وثقافة . انه لتأثير فريد من مؤثرات الثروة : ذلك ان احدى و المدينيات الثلاث ، لم تكن غير فتاة من نافار ، سبيت وهي حديثة السن وبيعت ثم ارسلت الى المدينة فلم تفادرها إلا لتعود من جديد فتطأ ارض بلاد نشأتها وتفتن بأغانيها وملامح فكرها سيد اسبانيا العربية .

نعتقد اننا بيتنا على الاقل – في هذه السطور الاساسية ، الأثر الذي لا ينكر الذي أثره المشرق وبخاصة الحضارة العباسية على مجتمع المدن الاندلسية في القرن التاسع . ولكي نذكر النتيجة الناجمة عن ذلك في الجزء الاسلامي من شبه الجزيرة ، نكتفي بكلمة عن التجديد الفكري دون أن نقف عنده طويلاً . إذ ذلك نرى شاعراً ، لم يدرس حتى الآن ، وهو يحيى الغزال Yahya al - Ghazal ينظم اشعاراً تارة من الهام ووحاني وأخرى هجائي سليط ؛ وعالماً فلكياً رسمياً هو عباس بن فرناس يكتشف في مخبره الطريقة لصناعة الباور ، وفي تجريسة مذهلة انطلق يكتشف في الفراغ على طائرة بلا محرك فقطع مسافة ما ثم سقط وحالفه الخط اذ نهض دون ان يصاب بأي اذى تقريباً ، تماماً كايكار Icare ثان كان مبشراً بالطران في اوائل العصور الوسطى (۲۵) .

ولأسباب في مستوى سياسي عيناها فيا سبق ، فان هـذا الأور المشرق العباسي على اسبانيا ذات التقليد الاموي ، الذي كنا نظن حتى بصورة مبهمة بوجوده دون أن نقدر على اتيان البرهان عليه ، اخـذ يكابد منذ مطلع القرن العاشر ان لم يكن من توقف نهائي فعلى الاقل من تراخ اصبح امر استبانة ما خلفه اقل يسراً . ذلك ان الاندلس ، عندما منحت نفسها سلطة خلافية ، انطوت على ذاتها ولم تقف عند حدود الاقتباس بل اخذت تعمل على ان يشع نفوذها كأمة عظيمة

متمدنة ، خارج حدودها . وما من ريب في ان المبادلات بين المشرق والمغرب ظلت ناشطة طوال هذه الفترة كلها التي تمتد حق دكتاتورية المنصور بن ابي عامر فان حاشيته تحصي من بينها واحداً مشرقياً على الاقل هو الشاعر سعيد البغدادي (٢٦١) ، إذ ليس هنالك ما يسمح بإنكار تلك الحقيقة . ولكن هذه المبادلات ما لبثت ان عادت مصحوبة بنشاط جديد على اثر تفكك الخلافة وواتتها الظروف عندئذ باغتراب الاسبان لانجداز زياراتهم الدينية للأماكن الاسلامية المقدسة ، وكذلك بقدوم المشارقة الى اسبانيا تجذبهم مراكز الثقافة في عواصم اقاليمها التي تجاوزت شهرتها البحار والتي كانوا سلفاً واثقين الى حد ما من انهم سيلقون فيها الترحاب وانهم غالباً ما يحاطون برعاية وتمين لهم الجرايات الطائة . وان آداب السير التي تفرد ابواباً خاصة للأندلسيين الذين قاموا برحلات الى الشرق وبالمقابل للمشارقة الذين أموا اسبانيا ، لتسمح لنا بالتوكيد دون حذر الخطأ ، على ان القرن الحادي عشر وكذلك القرون الثلاثة التي تلته ، قد شهدت ايضاً علاقات ثقافية لا تقل اثراً على الاقل عن المعاقات الاقتصادية .

أما من جهة العلاقات الاقتصادية فانها اخذت ترتقي ارتقاء مدهشا ؟ فلك أن اساطيل الموانىء الاندلسية التجارية : اشبيلية ومالقا Malaga ودينيا Denia وفالنسيا وألمرية خاصة كانت في جميع طرق البحر الابيض المتوسط تنقل المنتجات القادمة من مختلف انحاء اسبانيا او من المعامل الصناعية في المدن الاسلامية الاندلسية : اصناف الأغطية من المعامل والمطرزات والسجاد من بازا وكالسينا عمد Baza et de Calsene وفراء السمور من سرقسطه Saragosse والخزف المذهب مسن Malaga والمجوهرات

المرصعة والجاود الفائضة عن الحاجة من قرطبة والاسلحة من طليطاة والورق السميك من ياتيفا Jativa وقد كانت تلك العلاقات دائمة على وجه الخصوص مع مصر التي اخذ تأثيرها على اسبانيا يزداد ، منا الفرن الحادي عشر ، فاعلية ، وقد ابرز هذا الموضوع منذ ثلاثين عاما خلت في مقال للمأسوف عليه احمد زكي باشا (۲۷) وقد جاء علم النقوش العربية نفسه يؤيد وجود هائم العلاقات الاقتصادية : إذ عائم في ألمريا مناهد يحمل اسم تاجر من الاسكندرية وافته المنية في هذا الميناء الاسباني اثناء قيامه بمهمة اعماله عام ٩١٥ هجرية في الوقت الذي كانت فيه هاذه المدينة تصنع اقمشة رائعة ذائعة الصيت في العالم (٢٨) .

\* \* \*

لقد آن الاوان لأن نعالج مفاهيم ذات مدلول اكثر شعولاً وذلك بأن نفتش في الوقت الحاضر عن الخطوط الاساسية التي تعلق المغرب الاسلامي بواسطنها ، طوال القرون الوسطى ، بتقاليد الثقافة التي نشأت وتطورت ثم استقرت في الشرق العربي . فنمة تقدير في هذه الناحية ، يَبِيز كل ما عداه ويعرض ذاته منذ البداية : ذلك هو نصيب اسبانيا الاسلامية الضخم غير المشكوك فيه ، في الجهد الموسوعي الهائل الذي يتألف منه الادب العربي سواء أكان ذلك في محسال العلوم الدينية أم في العلوم اللابية ، وتستطيع الاندلس الادعاء ، مجتى ، بحكان في الصف الاول تمام ) اللغوية ، وتستطيع الاندلس الادعاء ، مجتى ، بحكان في الصف الاول تمام ) بين اقطار العالم الاسلامي الاخرى إن في الآثار الرئيسية الاصلية او فيا هو اكثر تواضعاً ، شروح الآثار الشرقية . وما علينا لكي نتحقق من

صحة ذلك إلا أن نقلب صفحات فهارس الاعلام المؤلفين كفهرس التركي المحاء Khadjidji Khalifa او فهرس بروكلمان باعتباره اقرب الينا. فان اسماء الذين يمتون الى اصل اسباني تتوافر في صفوف متراصة في كل عصر من عصور القرون الوسطى .

اما فيما يتملق بالعلوم الدينية كقراءة القرآن ودراسة التقاليد الاسلامية والنظرية الفقهبة فان العلماء الاندلسين لله ساهموا ، دون توقف ، على مر" جميع عصور اسبانيا الاسلامية ، في الجهود العظيم المبذول في تفسير القرآن والشروح الفقهية ، ذلك الجهود الذي لم تنكر فاعليته ابداً لا في المغرب ولا في المشرق على حـــد سواء . ويكفى هنا ان نتذكر بعض الأسماء وبعض التواريخ التي تثبت دوام الجهد في تلك الفروع الخصوصية الى حد بعيد في مجال العرب التأملي. وفي اسبانيا كذلك اشتهرت العلوم القرآنية بالتلاوات والمطابقات على النص المقدس على يد أبي عمرو من Dénia في بداية القرن الحادي عشر ، وعلى يد Fierro من ياتيفا خلال القرن الذي يليه ؟ أما علم التفسير فقد اشتهر على يد القاضي ان عطية الذي يؤلف تفسيره حوالي ١١٥ صفحة وقد انتشر انتشاراً واسعاً في اسبانيا والمغرب. بينا استطاع عهم الحديث ، من جمته ، ان يلقى مختصين اندلسيين على مستوى جيد نجد اسماءهم مدونة في جميع عصور الثقافة الاسبانية : مثل Ibn Waddah وقاسم من أصباغ Kasim Ibn Asbagh وابن عبد البر والقاضي إياد من Geuta واللسخة التي ما زالت حتى اليوم في المغرب الاسلامي كله ، تصلح بالنسبة لنص صحيح البخاري صلاحية التوراة المترجمة عن الاصل الى اللاتينية ، هي نسخة عارمة ، كتبها في مرسيا ابن سعادة الشني بعناية خاصة وذلك في ٤٩٢ ه كا سبق ان بينت في المقدمة التي نشرتها عام ١٩٢٨ (٢٩). عن نسخ المخطوطات بواسطة الجلاتين ١٩٢٨ ه. أما ما يتعلق بفاعلية الفقهاء فانها مقترنة بأسماء المشرين بالمذهب المالكي الذين ذكرناهم من قبل وبأسماء العاساء الذين أتوا من بعد ابو الوليد الباجي وابو الوليد بن رشد جد الفيلسوف الشهير ابن رشد وابن عظيم مؤلف التحفة وقاضي قرطبة منذر بن سعيد البلوطي.

كذلك فان فقه اللغة العربية قد ازدهر - في طريق الكلاسيكية الصرفة - ازدهاراً مدهشاً بفضل علماء أنفقوا حياتهم كلها في بلادهم او بفضل آخرين من الكثرة بمكان عزموا على السفر للنهل من منابع المعرفة نفسها في المشرق واتخذوا فيه مستقرهم: كالاندلسي ابن مالك، صاحب الألفية وهي عبارة عن الف بيت من الشعر تعالج موضوع الصرف والنحو ، وهو بخلاف زعم تردد غالبًا ، قد ولد في Jaén باسبانيا وليس في دمشق ، وغادرها ولما يزل يافعاً ليقيم في سوريا حيث توفي عام ٦٧٢ ، وخاصة كأبي حيَّان اللغوي الشهير ، بعد ذلك بنصف قرن فهو بعد ان درس في مدينة غرناطة ، مسقط رأسه ثم في ملقا والمريا ، ذهب ليقيم في القاهرة وتعلم بانقان اللغات التركية والفارسية والحبشية ووزع نشاطه في العاصمة المصرية حيث توفي عام ٧٤٥ ، بين علم التفسير والفقه وعلم اللغــة وخلف انتاجًا هائلًا . وفي فقه اللغة العربية يحتل وجه إسباني من مرسيا الدرجة الاولى: ذلك هو وجه الاعمى ابن سيده ، وقد عاش في القرن الحادي عشر في حمى مجاهد امير دينيا Dénia فلم يغادر اسبانيا ابداً : ان قاموسه الضخم في الجناس ﴿ والمحصص ، الذي يقع في سبعة عشر جزءاً يتفق مع قواعد كبار نقهاء اللغة من المشارقة بجذق ، حيث نفتش فيه عبثًا عن افر الاصطلاحات اللغوية او ألحان العامة ، التي أدخلتها اسبانيا العربية على لغة المخاطبة .

وفي باب الادب اشتهرت في شبه الجزيرة الابيبرية أسماء ما زالت أسماع المشارقة تألفها حتى الآن: منها ابن عبد ربه ، مولى الامويين في قرطبة في القرن التاسع وبداية القرن الماشر والعقد وهو مؤلفه الرئيسي عبارة عن منتخبات تأثر في اختيارها الى حد بعيد بعيون الاخبار لابن قتيبة ، ولم يفرد فيه الثقافة الاندلسية الجال الذي كانت قد اصبحت جديرة به ؛ ومنها كذلك اسم ابي علي القالي وهو عراقي الاصل ، اقام في اسبانيا ، وفي الوقت الذي كان فيه اديباً على قدر من سعة العلم لا مثيل له ، اصبح مربيا للحكم الثاني ، الخليفة القبل ، وهي صفة ذات اعتبار عظم ايضا ، وقد غدت أماليه كلاسيكية ؛ ومنها ايضا ابو بكر الطرطوشي وضع بحثا في الاخلاق السياسية : سراج الملوك . ومن جهة اخرى فان وضع بحثا في الاخلاق السياسية : سراج الملوك . ومن جهة اخرى فان شهرة فائقة في اسبائيا ، وبعد مضي قرن من الزمن عكف الشريشي شهرة فائقة في اسبائيا ، وبعد مضي قرن من الزمن عكف الشريشي Sharishi

اما ما يتعلق بالاشعار العربية الذين يذهبون الى ان تاريخ نظمها يرجع الى عصر ما قبل الاسلام ، كالمعلقات والدواوين الست ، فانها قد لقيت في شبه الجزيرة الايبيرية شراحاً نابهين : كان اهمهم يوسف الاعلم في سانتا ماريا دي الفارفا Santa Maria de Algarve وهي مدينة صغيرة تقع حالياً على ساحل البرتغال الجنوبي ، غير بعيد عن القسم القديم من سلفس الاندلسية Silves التي اشتهر سكانها في القرون الوسطى بالفصاحة

وعدم اللحن بالعربية . وقد سبق للإفليلي al - Iniii نفسه وهو معلمه ( معلم الاعلم ) في قرطبة أن وضع في مطلع القرن الحادي عشر شرحاً لشعر المتنبى .

ولئن قضت الضرورة أن تكون هذه السلسلة من الأدلة التي سقناها ، جافة نرعاً ما فذلك انها لم يكن لها من غرض إلا أن تبرمن الى اي مدى أثرت دائرة المشرق والكلاسيكية العربية ، في جميع العصور ، على الاهتمامات الجدية لاسبانيا المربية . حتى لكأن هذه الدائرة ، في الوقت الذي لم تكن فيه طاغية وانما كانت تفسح المجال لظهور بوادر اكثر اصالة في الفكر الاسباني ، تبدو على انها كانت متينة الاثر في غالبية الطرق الادبية التي ساهمت اكثر من غيرها في شهرة الثقافة العربية في اسبانيا . وهكذا نجد انفسنا ، مساقين الى محاولة سبر سريع في الشعر الفني - استعمل هذا التعبير عمداً ، تفريقاً له عن الشعر التعليمي - لعصر الاسلام المندهبي في الاندلس ؛ ذلك الشعر الذي حللت أهم مواضيعه في دراسة حديثة على غاية ما يرغب من الاناة والدقة العلمية (٣٠). وتلك المواضيع متعددة جداً: انها ليست مستلهمة ومستوحاة من طبيعة ذات جمال من نوع خاص فحسب وانما ايضاً من الحب والصداقة والمديح والهجاء واللذة والألم ، والتفاؤل والشعور المفجع بالحياة . وقد كانت كلمها مستقاة من جميس عصور ماضي الاسلام في اسبانيا وخاصة من القرن الحادي عشر وهي تكشف بلا شك عن نبرة عريقة في اصالتها وشعراء اقوياء الشخصية لم تصب فيهم المؤثرات القصية منالاً او انها كانت تتلاشى قبل وصولها ، وذلك ، غالبًا بخلاف ما كان يظن بالاستناد الي منادي، مسبقة ، كما تعكس في وقت راحد أثر سليقة خاصة ووسط تضافرت

عدة ظروف فجملته الى حد ما يحكم قوة الاشياء مختلفاً اختلافاً كبيراً عن وسط عواصم المشرق . غير ان هذا الشعر ، اذا ما نظرنا اليه على الاقل نظرة اجالية ، يبقى في جوهره شرقياً وكلاسيكياً الى حسد بعيد . حتى انني اعتقد زيادة على ذلك بأنه يبدو احياناً وكأنه ــ اذا امكننا القول - التمرين اللغوي لشعب لم تكن العربية الفصحى مطلقاً لغة آبائه وأجداده الحقيقية ، واكنه يبدع فيها . وهذا الشعر يذكرنا بناذج اوفيد وكتول أو هوراس ؛ الرائمة في عصر انحطاط اللاتينية . إلا أن الشعب الاسباني المسلم كان يظهر ، بمثابرته على الدفاع عن اللغة وتمجيدها ، تفانيه وتملقه بالمثل الاعلى الروحي والفكري والعربية كانت السبيل في نطاق الاسلام الفسيح . غير ان هذا الشعب كان يشعر احيانا ، بلا شك ، انسه في النطاق الذي ارتضاه بطيبة خاطر ووثق بنفسه روابطه ، وكأنه في اسار . وبدون ان يفكه تملص منه في الوقت المناسب ليستنشق الهواء على خير وجه وليسترد روعه ، وهكذا تحرر من قالب العروض التقليدي الطاغي فابتكر الاطارات الاكثر مرونـــة للزجل والموشحات لكي يضمنها بطلاقة ، المواضيع العفوية لالهامه الغنائي . ومنذ نهاية القرن البتاسع وبعد ذلك بقليل ، في الوقت الذي كان مثقفو المسرق يتناقلون بتحفظ ، اناشيد شعبية ذات تعابير جديدة ، بات من الطبيعي ان تلفت محاولات شاعر اسباني كمقدم بن معافى في وضع اوزان عروض اقل الزاماً . ومن الواجب الاقرار بأن تلك المؤلفات مع كونها جديدة كل الجدة لم تلطخ بشيء مميزات الانتاج في الشعر الكلاسيكي في اسبانيا العربية وقد لاقت ، في البداية ، ضمن الحدود التي تقيدت بها في مطابقة مقياس التورية والنحو ، نجاحاً عاماً في المشرق ، حيث اخذت

تصادف شهرة فائقة الى حد انها دفعت الناس الى محاكاتها وألهمت في ذلك ، تفاسير حقيقية . إذ ليس امراً لا يؤبه به - اذا ما تأكدنا من صحته - أن تكون المخطوطة الوحيدة المعروفة لديوان الشاعر الشعبي الاندلسي ابن قوزمان Guzman الذي عاش في قرطبة إبان حكم المرابطين ، في القرن الثاني عشر ، قد كتبت في قرية صفد ، في فلسطين وأنها اصبحت مثاراً لشرح الكاتب المشرقي المعروف في القرن الرابسع عشر ، صفي الدين الحلي .

ومع انه - في مضار البناء - كان التحرر من قيود الكلاسيكية الصارمة ، اقل عسراً ، والأندلس تثبت ذلك بالدليل القاطع ، فان المشرق سيترك طابعه في اعمق وجه ايضاً على الانشاءات الزخرفية في آثار اسبانيا الاسلامية ومن ثم ، بالتهالي ، على آثار المغرب في العصور الوسطى .

ولن نحاول هنا استقصاء وقيقاً عن المؤثرات الشرقية التي يمكن اظهارها ونحن نتفحص أهم الادلة التي ما تزال سالمة في الفن الاسباني المغربي ، بما يقتضيه الاستقصاء ويستوجبه من تدقيق علمي . لأن كثيرين من مؤرخي الفن الاسلامي الغربي البارزين قد سبق لهم ان قاموا بذلك خلال هذه السنوات الاخيرة بنجاح . ولهذا فإننا سنكتفي بتكرار ذكر نتائجهم الجوهرية . ويبدو جليا ان الفن الاسباني - المغربي ، ذلك الذي يتجلى ، قبل كل شيء في جامع قرطبة الكبير ، خضع ، في خلال التبدلات يتجلى ، قبل كل شيء في جامع قرطبة الكبير ، خضع ، في خلال التبدلات المتالية في هذا البناء المقدس ، لمؤثرات من بلاد ما بين النهرين لا يستطيع احد ان ينكرها . ولقد اقتبسها ، في الوقت الموافق عن طريق افريقية التي تعتبر «مرحلة في الطريق ما بين بغداد والاندلس » او من جهة ابعد التي تعتبر «مرحلة في الطريق ما بين بغداد والاندلس » او من جهة ابعد

تارة اخرى ايضا « عن طريق فسطاط ابن طيلون او القاهرة في ايام الفاطمين الاوائل » . وفي مقال رئيسي تمكن جورج مارسي Georges Marçais ، من القول : « إلا أن الأثر الثابت الذي يتركه الشرق ، على ايام الخلفاء ، من القول : « إلا أن الأبنية وزخرفتها . فان الفنون الصناعية تتسم هي ايضاً بطابع همذه الطرائق الغريبة . فخزف مدينة الزهراء الذي مسا يزال بكيته المذهلة ينتظر من يظهره الناس ، يؤكد من ناحية فن صناعته ، ومزج ألوانه والزخرف كا لو انه من اصل ما بين النهرين ، اما صناديق العاج التي تعتبر مفخرة المعامل التابعة للخلفاء ، فانها تقتبس مواضيعها من الرسوم الزخرفية : كمناظر الصيد والموسيقى ومجالس اللهو من قائمة الفن الأسيوي التقليدية (٢١) » ،

\* \* \*

ان تأثير المشرق على الفن العربي الاسباني ، هذا التأثير الذي كان ، في السوانح الراجعة ، فعالاً دوما ، والذي يتكشف هكذا من خلال التعبير الشعري والمعاري لدى مسلمي شبه الجزيرة ، لم يكن على تطور الفكر الاندلسي ، كا يبدو ، بأقل حدة منه في ذلك . فان اسبانيا لتفخر اليوم بذلك الجهد الفلسفي وذلك النزوع الصوفي في عصورها المشبعة بروح الاسلام : فهي تطالب في ان يكون ذلك كله من ارثها الثقافي وتفسح مكانا ، الى جانب شخصيات كسنيك Sénèque وتيريزة الافيلية Thérèse مكانا ، الى جانب شخصيات كسنيك Sénèque وتيريزة الافيلية Marmonide ايضاً فان السيد Miguel Asin حاليا ، استاذ الدروس في الفلسفة الاسبانية كان العربية في العصور الوسطى ، لم يتالك أثناء ذلك من التصريح بعد معاناة

طويلة لآثار رؤساء تلك المذاهب: « أن تاريخ الفكر الفلسفي في أسبانيا المسلمة هو اقتباس أمين من الثقافة الاسلامية المشرقية ، ودون أية رابطة ايجابية فأن التقاليد الحلية تفصح عن ذلك » .

هذا التأكيد لم تفته القوة ولا الفصاحة ، وان مغزاه لمتجلى تماماً كما انسه يزداد نضرة لو أننا أضفنا بأن الفلاسفة المسلمين كانوا في المشرق كا كانوا في المغرب علماء لاهوت في الوقت نفسه . غير انـــه لم يكن من من المكن ، في اسبانيا في نطاق المذهب المالكي الضيق ، المعادي لكل تجدد ؛ افساح الجـــال ؛ دون مخاطرة لأية مناظرة ؛ مها كانت متمكنة ؛ تعطف على الاتجاهات التحررية ، التي اخذت تظهر وتتركز ، تحت ستار المذهب الشافعي على الحدود الاخرى للبحر الابيض المتوسط. وفيما يتعلق بالتأمل الفلسفي الاسباني الذي جـاء بروحه متأخراً في المغرب الاسلامي على كل حال ، ولم يأخذ بالظهور فعلا إلا في عصر اسرة الموحدين ، يجب دون شك ألا نغفل التذكير بالتأثيرات غير الشرقية في نوعيتها: كتأثيرات علماء اليهود الاندلسيين الذين طرحوا مسألة التوفيق بين الايمان والعقل ، قبل أن يطرحها مواطنوهم المسلمون ، للوصول إلى حاول. وأما الحســـة الصوفية فيبدو من الراجح انها تجد ما يبررها في الظروف التاريخية: فلقد 'سهِّل اندفاعها منذ مطلم الثــاني عشر وحتى وقت سقوط مملكة غرناطة العربية في عام ١٤٩٢ ، ليس بتقاليد الحرب المقدسة التي عقيد لواؤها ضد مسيحيي اسبانيا فحسب وانما بما صادفه من تقبسل حماس من قبل المسلمين الاسبان في الاوساط المتدينة ، نظام الرباط Discipline de Ribat خاصة لا بل وأكثر من ذلك ، هو انعزال روسي موزع بين ممارسات السلك وبين المران العسكري ، الذي يذكرنا ، في نواحي متعددة ، بالمثــل الاعلى عند منظمات الفروسية الاولى لمسيحية العصور الوسطى الذي كان حربياً ودينياً في الوقت نفسه .

كذلك فان بعض مؤلفات الفكر اليوناني الشهيرة من العصور الكلاسيكية والهللسية قد امكن استنساخها لحساب مراكز الثقافة في اسبانيا العربية عن طريق المشرق الاسلامي كالمعتاد . وقد سبقت منا الاشارة الى التحريات 🦠 التي عمل الامير عبد الرحمن الثاني على القيام بها في العراق من اجل الحصول على نسخ عن ترجمات الآثار العلمية لبلاد فارس القديمة وبلاد اليونان . إلا ان سليله : الحكم الثاني ، حتى قبل ان يصل الى كرسي الخلافة في عام ٥٣٠ م ( ٩٦١ م ) هو الذي بصورة خاصة ، بذل في هذا المضار الجهود التي كان لها الأثر الحاسم على الاستشراق السابق للتأمل الاسباني في مجال الملوم الرياضية والطب . وكان هذا الخليفة نفسه ، على حد تعبير كاتب عربي اسباني في القرن التالي لحكه ، هو سعيد الطليطلي : de Tolède في كتابه و تصانيف الأمم ، Catégories des Nations : و هو الذي عمل على -جلب أمم المؤلفات الرئيسية النادرة ، المتملقة بالعلوم القديمة والحديثة ، من بغداد ومصر وأماكن اخرى في المشرق . وجمع منها ، في اواخر حكم ابيه ومن ثم طيلة حكمه هو نفسه ، عدداً يضاهي تقريباً العدد الذي جمعــه الأمراء العباسيون برمتهم ، في وقت اطول بكثير . ، والمكتبة التي جمعت مكذا من قبل الحكم الثاني في قصره بقرطبة كانت غنيــة غنى لا مثيل له: فلم تكن تحتوي على اقل من ٢٠٠٥،٠٠٠ بجلد والفهرس الذي اقتصر على ذكر المناوين وأسماء الؤلفين فقط قد ملاً اربعين قائمة وكل قائمة تحتوي على خمسين صفحة . فان شبكة حقيقية لحساب العاهل الاسباني ، من الباحثين dépisteurs والساسرة والنساخين قسد انتشرت

وأخذت تتابع تحرياتها عن التآليف في طول العالم الاسلامي وعرضه . وفي قرطبة نفسها جند فريق هائل العدد من الكتبة والمجلدين والمزخرفين ، استقدم بعضهم من صقلية بل وحتى من بغسداد ، وكانوا يعملون تحت اشراف موظف موهوب كبير من حاشية الخليفة ، وذلك على إغناء تلك المكتبة الرائعة التي تحتوي على النفائس . وسرعان ما اخذت الطبقة الارستقراطية في العاصمة تقلد العاهل بتشكيل مكتبات خاصة غنية حتى لقد استطاع احد المؤرخين القول بأن مائة وسبعين امرأة ، في ضاحية قرطبة الشرقية وحدها ، يعملن يوميا في نقل نسخ من القرآن بالخط الكوفي (١٤٣) وكانت عاصمة بني أمية في اسبانيا ، ابان خصومتها الجيدة لعواصم المشرق العربية ، تتمتع آنذاك داخل البلاد وخارجها ، بشهرة المعواصم المشرق العربية ، تتمتع آنذاك داخل البلاد وخارجها ، بشهرة المجد في طلب العلم ، لم تكن أية مدينة اخرى في شبه الجزيرة لتجرؤ على التفكير في منافستها فيها . واحتفظت بذات الشهرة الى ما بعد سقوط الخلافة ومخاصة الى عهد المرابطين في القرن الثاني عشر بحيث تمكن ابن رشد من كتابة هذه الملاحظة الجازية :

اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية .

« عندما يراد بيع كتب عالم مات في اشبيلية فانها تنقل الى قرطبة ، أما اذا اريد عرض آلات موسيقار مات في قرطبة فانها على العكس تنقل الى اشبيلية ،

ولم يبقى كتاب واحد من هذه المجموعة العجيبة من الكتب التي جمعت على ذلك المنوال في القرن العاشر بدافع من رغبة واعية لدى امير غني ،

صديق للآداب والعلوم . وقد اشرت منذ اربع سنوات الى مجلد منها عاتر عليه في فاس : فهو يحمل تاريخ ٥٥٩ ( ٩٧٠ م ) الجدير بالتقدير مع الدلالة على انه نسخ لأمر الخليفة الحكم الثاني (٣٦) ان جزءاً ضئيلًا جداً من هذه المخطوطات العديدة ما يزال قابعًا حتى الآن ذون ثك في خبايا مكاتب مجهولة وقد نجا فلم يطله الأمن الذي صدر في اسبانيا المسيحية في القرن السادس عشر بعد اعادة فتحها ، باتلاف الكتب العربية . إلا أن هذه المكتبة الخليفية الكبرى قد نقصت كثيراً بعد جمعها بوقت قليل ، وذلك عندما أراد المنصور بن ابي عامر أن يضع حداً للشكوك التي كانت تحوم حول صحة معتقده الشخصي وأن يصد حركة المقاومة التي كانت الاوساط المحافظة في قرطبة ترعاها ضده في الخفاء ، فاضطر الى أن يحسم الأمر بجركة مسرحية في تخريب الآثار الفنية وهو في قرارة نفسه اول من كان يقدر مدى ما في هذه الحركة من تدنيس لحرمات النهن ، وقد نقل الينا سعيد الطليطلي (١٣٧) بأن دكتاتور اسبانيا العربية « أمر بأن تحرق وتتلف ، من هذه المكتبة ، المؤلفات التي تعالج العلوم القديمة : فبعضها اذن 'قدم طعمة للنار ؟ وبعضها ألقي به في آبار القصر وخبى، في باطن الارض وتحت الحجارة او اتلف بأساليب اخرى ، . إذ أن هذه الكتب ، كما يردف الكاتب نفسه : ﴿ لا ينظر اليها الشيوخ بعين الرضى وينتقدها الكبار . وكان كل من يقرأهــــا متهماً في نظرهم بالهرطقة ومعتبراً أنه ملطخ بالزندقة ، . ومن ذا الذي يعلم الى أي حد عمل هذا المسلك الانتهازي ، المؤسف من جانب المنصور ، في اعاقة اندفاع المغرب العامي على نحو محسوس في ذلك الميدان الذي قصدى له لإحساء الشعلة التي افضى بها اليه المشرق الاسلامي .

ومع ذلك فان هذا الجهد التأملي في العالم الاسباني – الاسلامي خلال العصور الوسطى ، يبقى دون ريب ، على الرغم من كبح جماحه على ذلك النحو ، اكثر النواحي أصالة وأبرز النتائج في الثقافة الاندلسية المتولدة مباشرة من ثقافة المشرق ، التي وفق عرب اسبانيا بينها وبين البيئة الطبيمية والاخلاقية والاجتاعية كا تبقى الانتاج البكر لحضارة قد أخذت ، في شبه الجزيرة الاببيرية تعي شخصيتها شيئًا فشيئًا ، غير انها دائمة الاهتام في ان تصون للغة العربية مقامها الادبي الرفيع والتقليد الكلاسيكي سالمًا . هذه الصفات الميزة الناجمة بالضرورة عن بنية التربية والمناخ والالتحام الذي طال عهده وتمازج عناصر السكان المتزايد ، بدأت منة القرن العاشر تظهر في مختلف مقومات هذه الحضارة الاسبانية الاسلامية وبعد القرن الخامس عشر في النطاق الافريقي من اشماعها . ان استعمال نمط من اللباس في متناول الجميع نوع من الحياة مشروط بالحضرية والميل للتجمع في مدن وضياع والتنظيم العقلي للخدمات المدنية ، كل ذلك قد ساهم ، بلا شك في تكوين شعب على حده كان القادم من مصر او سوريا او العراق يستطيع ان يشعر بينه في البداية انه في غير عيطه بعض الشيء ، إلا أنه لم يكن يكث طويلاً حق يلقى نفسه ثانية في بيئة من جديد او يكاد ، وأن بصفته مشرقياً ينال امتيازاً بلا ريب وأن هذه الصفة من شأنها ان تمنحه مراعاة تبرهن له ببلاغة فريدة على ان الروابط التي تربط اسبانيا وغيرها من البلدان الاقرب منها عهد الاسلام ، كانت بعيدة عن الانفصام . فسيبقى الاشتهار بأصالة النسب العربي ، حتى آخر ايام مملكة غرناطة ، في شبه الجزيرة ، هــو الدليل الوحيد للاعتراف بنبالة الدم الحقيقية . حتى أن المرء يصل في ذلك الى التساؤل فيا اذا كانت اسبانيا المسلمة في العصور الوسطى ، لم تكن ، في الطرف الآخر من العالم العربي ، بالنسبة لهذا العالم نفسه ، ولاية من ولاياته ، ولاية مزدهرة ، متميزة بلا شك . إلا أنها مع ذلك ، وهي الطيعة للقاعدة العسامة ، كانت فحسب مساعدة نبيهة ، خاضعة للنظام مشاركة في الجهود المتسقة لرواد الحضارة العربيسة التي ظلت هي نفسها من قرطبة الى القاهرة ومن القاهرة الى بغداد .

لا يلبغي ان نذهب الى هذا المقدار. هي ، وايم الحق مقاطعة من مقاطعات الاسلام ولكنها مقاطعة بعيدة ، خاصة في الوقت المواتي ، حق انها فقدت شيئاً فشيئاً العاطفة الحسية والايجابية يتبعية روحية إذ انتهى تذكر الرياض السورية والواحات العراقية والنيلية الى ان يصبح موضوعاً ادبياً بسيطاً تطرقه اجيال من الكتاب والشعراء . إلا انها قبل كل شيء ، مقاطعة على تخوم الاسلام النهائية ، تقع في اوربا ، دائمة الاحتكاك ، سواء في داخلها ام خارج حدودها ، مع مسيحية ، اختلطت بها وعرفتها اكثر من اية دولة مسلمة اخرى . فلئن كان ما تناله اسبانيا المسلمة من تلك المسيحية ضئيلا في حين كانت على العكس تنقل اليها تبدأ في وقت مبكر بالقيام بدورها ولن ينكر وجودها طوال المصور تبدأ في وقت مبكر بالقيام بدورها ولن ينكر وجودها طوال المصور الوسيطة . وسنبرهن الآن – او نحاول أن نبرهن على الاقل – بأن الاصلية ، هو بصورة خاصة تقريباً وقبل كل شيء ، مجاورتهم الغرب المسيعي ، على الرغم من تعلقهم التقليدي بالمشرق .



## الفصلالثالث

استبانيا المسيحيّة وأمحضّارة العَربتَّة الاستبانية



ļ

## اسسبّانيا المسيحيّة وأمحضّارة العَربيّة الاسسبّانية

تجتهد نظرية حديثة لا تنقصها الأدلة ولا الحجة المقنعة ، في حل معضلة سبق ان طرحها عدة مؤرخين . فهي تسعى لاقامة الدليل على ان تدفق الاسلام غير المتوقع ، والمفاجىء ، في اوائل القرن الثامن ، على نظام العالم اللاتيني الاقتصادي ، كان له نتيجة مفجعة في فصم الرباط الادبي لهذا العالم الذي كان يبدو على أشد ما يكون من القوة : وحدة البحر الابيض المتوسط (٣٨) ستكفي قوة التوسع العربي الذي لا يقاوم ، في بعض سنوات حتى تنفصم نهائيا عرى هذا الوثاق بيد ان الاجتياحات الجرمانية قد أبقت عليها وهي تنشر راياتها على ارض رومانيا القديم ، وعلى هذا النحو كانت نهاية النهج القديم ، منعطفا اساسيا في مصائر اوربا الغربية ، في ذات الوقت الذي اخذت فيه مؤثرات القسطنطينية تكيفها في القالب

البيزنطي . وقد اصبح البحر الابيض المتوسط ، مجرنا القديم Mare Noetrum ، كبيرة اسلامية ، وفقد نفوذه في تجارة العالم اللاتيني ومبادلاته الفكرية . فبزغ عصر مظلم تقلبصت فيه دول اوربا لتعيش منطوية على نفسها واذ لم يعد بعد ذلك البحر الروماني مجرها ابداً ، حولت شيئًا فشيئًا محور حياتها السياسية نحو الشمال . وسينقضي قرن كامل حتى يأتي في عام ٥٠٠ تكوين الدولة الكارولنجية لتستهل عهد العصور الوسطى ، في تاريخ اوربا القلقة المتعبة بازاء اسلام يطفح حيوية ومروءة ، وهي بذلك توسع في النفرة التي فتحت بين الشرق والغرب بفقدان البحر الابيض المتوسط .

واذا انطلقنا في البحث من هذه المسألة ، واذا اجتهدنا في تعداد ماذا يكون من امر تطور العالم القديم بدون دخول القوة العربية اليه ، فانه يكننا – على ما نظن – الاسهاب الى ما لا نهاية . فمن المؤكد ، فيا يتعلق باسبانيا نفسها ، بأن فتحها من قبل المسلمين قد جعلها تدبر زمنا طويلا عن السبل التي اتبعتها (اشنتها) في العصر الوسيط كل من فرنسا والمانيا وإيطاليا ثم ما هي من جهة اخرى ، – وقد سبقت لنا ملاحظة ذلك – العوارض Incidences الخارقة التي كان يكن ان يحدثها اجتياح لفرنسا يقوم به المنصور في اواخر القرن العاشر أي في الوقت الذي كانت تلفظ فيه الدولة الكارولنجية انفاسها الاخيرة ؟ ولن نذهب بعيداً لنتساءل لماذا لا تلح المدرسة التاريخية الحالية بمزيد من التأكيد على هذا الظرف الذي لا مرية فيه : ألا وهو ان البحر الابيض المتوسط عندما اصبح بحيرة اسلامية لم يصبح بذات الوقت بحيرة بربرية ، مجراً مظلماً ، كثيف الفساب لم تبق على شواطئه ولا منارة واحدة تنيرها .

ان الهدف الذي نبتغيه هنا هو مختلف وأكثر تواضعًا : هو القاء الضوء

على تداخل Interpenetration الاسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الايبيرية وهو تداخل حقيقي ، مستمر في أسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الاسلامية ام في خارجها ؛ وكذلك هو في ان نظهر الاندلس على انها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا 'تقهر ، لتمتشق السلاح في وجه جيرانها ؛ وانما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الاندلس خلالها اكثر بما اخذت ؛ كا برهنت في اغلب الاحيان على عقل متسامح ازاء رعاياها المسيحيين ، لم يعد احد ياري فيه اليوم ،

ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الاسلام والمسيحية ، اكثر منها في اسبانيا العربية ، فان معظم سكانها قد احتفظوا ، على الاقل في القرن الاول من حكم الاسلام ، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت ؛ وفيا بعد ، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى اهل الذمعة بعد ، من الرعايا النصارى اهل الذمعة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الاندلسية وحدات مزدهرة ، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول (Depensar) وجابيها الخاص ، (Censor) وقاضيها الذي يطبق في محكمته ، تحت اشراف الادارة الاموية ، القانون وقاضيها الذي يطبق في محكمته ، تحت اشراف الادارة الاموية ، القانون القوطي القديم من Liber Judicum اما الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دوما مسيحيون متهوسون يرفضون ان يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد بينا كان أبناء بجدتهم الدينية أنفسهم ينكرونها علناً . سواء في ذلك العلمانيون والقسس وسواء أكان امير او خليفة فانها كانا يستعملان هؤلاء الاحبار في سفارات يقر"ان ، بصورة دائمة تقريباً اختيار اصحاب الرتب الكهنوتية ، مطران طليطلة واسقف قرطبة . حق انها كانا يستعملان هؤلاء الاحبار في سفارات

او مهات سياسية سرية (٤٠) في الوقت المناسب . فلم تكن رؤية الايكليريكمين الاسبان يتضلعون في معرفة اللغة العربية وآدابها من الامور النادرة مطلقاً . وهذا ما يجعلنا نفارض وجود اختلاط ودي ؛ واثق ؛ ومتصل بين مختلف عناصر السكان . بل غلك على همذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط ابطال القاومة ضد الاسلام في شبه الجزيرة في القررب التاسع ألا وهو الفارو القرطبي le Cardouan Alvaro. فبينا يحزن لفتور مسيحيي اسبانيا وجهلهم باللاتيلية نراه يمجَّد بفصاحة نادرة الثقافة الاسلامية – الاسبانية التي كانت في طور التكوين أوذلك عندما يهتف في مقطع ، كثيراً ما يستشهد به من كتابه Son indiculus Luminosus « ان أبناء طائفتي يحبون قراءة الأشعار وتراث الخيال المربية ؛ وهم لا يدرسون كتابات رجال لمدحضوها وانميا يدرسونها ليكتسبوا نطقاً عربياً سلماً ورفيعاً ... جميم الشباب المستحدين الذين يعتبرون لموهبتهم لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها ؟ انهم يقرأون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير ؟ ويشكلون منها مكتبات هائلة بأثمان باهظة ويعلنون عن هذه الآداب في كل مكان انها مدهشة ... فيا للألم! لقد نسي المسيحيون كل شيء حق لغتهم الدينية انك تكاد لا تعثر بيلنا ، إلا بجهد على واحد بالالف يعرف كما يجب ، كتابة تحرير الى صديق باللغة اللاتينية . أما أذا كان الغرض الكتابة في العربية فانك تجد اللغة وسترى انهم ينظمون اشعاراً ، تفضل من وجهة فظر الفن الأشعار التي ينظمها الغرب انفسهم ».

لم تكن الهوة اذاً بين الاسلام والمسيحية منذ ذلك الزمن القــديم لا

بالسعة ولا بالعمق اللذين طاب لنـا تأكيدهما زمنا طويلاً . حتى ان الاختلاف في الايمان لم يكنُّ عائقًا في وجه علاقات زوجية ، ولدينا امثلة عديدة على وجودها حتى خلال القرن الذي يلي الفتح مباشرة ، وقد شهد هذا القرن زواج آجيلون ارملة روذريك ملك الفزيقوت من عبد العزيز ابن القائد موسى بن نصير او زواج لامبيجي ابنة الدوق اوديس الاكوتاني من Munuza رئيس مسيرة البيرنية المسلم. وفي كل العصور تؤكد لنا ذلك مزاوجات من الطرفين بين شخصيات من الطبقة الارستقراطية او من ذوي الدم الملكي : فستكون حدة عبد الرحن الثالث الكبير الاميرة المسيحية دونيا اينيقيا Dona Iniga وسيتزوج الوصي المنصور احدى بنات ملك نافارا سانشو الثاني وسيدعها تطلق على ابن علاقتها الاسم الروماني Roman المتداول : سانشويلو Sanchuelo المتداول : ومن جهة اخرى فان قرطبة كثيراً ما حظيت في القرن العشرين بمشهد السفارات قادمة من ممالك الشال . وكان البلاط ، يزدهي ، احتفاء بمقدمها ، بأبهي حلله ويخرج بمواكب رائعة تبعــــــــــــــــــا لبروتوكول دقىق . ولكن هذا لم يكن يذكر اذا قورن بالأبهة التي كان الخليفة يظهرها احتفاء بالسفارة التي كانت تأتيه في زيارة رسمية حتى عاصمة ملكه من قبل امبراطور القسطنطينية .

ولقد نو"ه بتبادل علاقات سياسية طوال القرنين التاسع والعاشر بين بيزنطة وقرطبة . فوجود هذه العلاقات نفسها هو بحد ذاته دليل على الامتياز الذي حصلت عليه الدولة الاموية في نظر اوربا المسيحية ، في الشرق والغرب على حد سواء . لا سيا وأن المبادرة في هذه العلاقات الشرق والغرب على حد سواء . لا سيا وأن المبادرة في هذه العلاقات التي يبدو لأول وهلة انه لم يكن لها ما يسو عها ، قد اتخذها عام ٢٢٥

هجرية ( ١٣٩ – ٨٤٠ ) الامبراطور تبوفيل من الاسرة الاموية : فقسد أوفد سفيراً يونانياً الى عبد الرحمن الثماني ومعه كتاب يطلب فيمه من امير اسبانيا العربية عقد معاهدة صداقة وفي نفس الوقت يدعوه بكلمات مبطنة ليأخذ في المغرب المشرقي مكان العباسيين وأغالبة افريقيا ، حكام المقاطعات الاسميين . فكان جواب الامير الاموي مؤدباً في عدم قبول قصده ولكنه قابل البازيليوس Basileus بمثل تهذيبه فسارع بارسال موفدين اليه هما الشاعر الغزال al-Ghazal وأحد الفلكيين ويبدو انسه هو مخترع الساعة المائية الشهيرة التي تعين رواية اخرى مكان اكتشافها في بغداد وتجعلها احدى الهدايا التي قيل ان هارون الرشيد قدمهسا الى شارلمان . وقد عامل تيوفيل والامبراطورة تيودورا مبعوثي قرطبة ، معاملة رائعة في القسطنطينية وعادا مثقلين بالهدايا للأمير الاسباني (٤٣) ، وعلى هذا النحو كانت تعقد عنـــد كل مناسبة سلسلة من الاتصالات : وأصبح تبادل السفارات مؤكداً فيا بعد بين قرطبة وبيزنطية في ظل حكم عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني ؛ ونحن نعرف بأن هــــذا الاخير قد طلب من نيسيفور فوكاس أن يبعث اليه خبيراً في صنع الموازييك بقصد تزيين التوسع الذي كان يزمع القيام به في جامع العاصمة العظيم (٤٤) وها هنا مبعث تأثير اساتذة الفن البيزنطي الذي مارسوه على فن الزخرفة في بعض مباني العاصمة الأموية وهو تأثير معقول من الناحية التاريخية ولا ريب فيه .

وكانت غمامة مفاجئة تأتي مرات مختلفة ، في وسط حقب السلام الداخلي لتمكر سكون السماء الانداسية لفترة ما . ويبدو ان الأثر الذي تركه النورمان على حضارة الغرب العربي بنزولهم المتواتر على سواحل

شبه الجزيرة الايبيرية ، مها كان هينا فاننا لا نستطيع السكوت بدون صعوبة عن التذكير بتلك الغارات الاسكندينافية المفاجئة وان كانت متباعدة ؛ وهي وان لم تكن تنقلب ابداً الى مآس كاملة ، إلا انها كانت تجمل اسبانيا المسلمة على اهبة الاستمداد كذلك الخطر الفاطمي الذي ارغمها على ان يكون لديها اسطول بحري قوي وبحارة متمرسون ووسائل دفاع صامدة على شواطئها . فمن الامور المتفق عليها بالاجماع أن غارات الفيكنز الجريئة ، اولئك الذين يدعوهم المسلمون بالمجوس ، مخلف أي أثر في البلاد . ومن الحتمل أن يكون هذا التأكيد حكما متعجلا : اذ بدون ان نقدر على البرهان عليه بعد بصورة قطعية فانه يبدو واضحا ، اذا ما رجعنا في ذلك الى بعض النصوص العربية بأن النورمان لم يرجعوا جميعهم الى ركوب البحر بل ان جماعات صغيرة منهم استطاعت الاقامة بموافقة اسياد الملكة الاموية في بعض اجزاء منهم الجزيرة وبصورة خاصة بالقرب من اشبيلية . وغني عن البيان أن بعض الاجيال كانت كافية لصهره في بوتقة الأمة الاندلسية وثقافتها .

\* \* \*

لم تكن تأثيرات اسبانيا المسيحية على اسبانيا العربية ، قبل ان تصبح هذه تابعة سياسيا لافريقيا ، تقارن ولو من بعيد ، بتأثيرات اسبانيا العربية على اسبانيا المسيحية حتى ولو أخذنا بعين الاعتبار الاشياء المتفرقة Sparadiques والمقتصرة على نطاق الفن وحده من قبل بيزنطة البعيدة : تلك التأثيرات تمكنت الاندلس ، طوال تلك العصور ذاتها من ان تبسطها على المالك الاسبانية في الشمال وعلى جنوب فرنسا العربي بطريقة اقسل

مباشرة . ان الاشعاع الذي كانت تعكسه قرطبة على المسيحية الغربية لا يارى فيه وهو الذي يعلل ، من ناحية اخرى ، الاستعارات من جهة واحدة ، طبيعية اكثر من ان تكرن مبادلات حقيقية . ومنذ ذلك العصر وهذا الاشعاع آخذ في تأكيد ذاته في بعض الوثائق ، النادرة جداً مع الاسف : ان الشاعرة الألمانية Hroswitha التي نظمت أبيات شعرها في منتصف القرن العاشر تدعو العاصمة الاموية بدر زينة الدنيا ، ويرسل اوتون الاول امبراطور جرمانيا السفير جان دي غورتس في عام ١٩٥٩ الى عبد الرحمن الثالث فينقل الينا مترجم حياة هذا السفير الذي شعر به ازاء حضارة كان مع ذلك يعرف عنها من قبل انها رقيقة وناعمة (٢١) .

عندما نتقصى الأمور التي كان يمكن ان تتألف منها تلك المؤرات فاننا نلاحظ انه يجب ألا نغفل دور بعض بقايا الأشياء الحالية التي صمدت من عصر الفيزيقوت ، في علم الاقتصاد الاجتاعي في اسبانيا المسلة . فلم يمكن العرب اول من اقام في الاندلس نظام اللاتيفونديا Latifundia الذي كان في اساس الاقطاعيات في العصور الرومانية وبالتالي في اساس نظام الرق ؛ فما فعلوا إلا ان رسخوه ، على النحو الذي وجد فيه من قبل في زمن ملوك القوط وطليطلة . وقد استطاع بعض كبار الملاكين من ذوي النشأة النبيلة ان يحتفظوا ايضا ، بارتباطهم بروابط الزواج من أسر عربية بلكية تلك الأملاك الكبيرة ويعملوا على افادة سادة الاندلس الجدد من طريق استخدام همذا النظام ، وهو على الرغم من ان فيه من عدم طريق استخدام همذا النظام ، وهو على الرغم من ان فيه من عدم الانسانية ما يكفي اذ يخضع الفلاح ، حتى ذاك الذي يولد حرا ، لظرف يقرب من العبودية فقد سبق له ان اظهر مزاياه زمناً طويلاً . ولما كان عرب شبه الجزيرة قد انصرقوا بالدرجة الاولى للحفاظ على التقليد السوري

في اسبانيا سالما ومن ثم الى تقبل تجديدات العباسيين ضمن نطاق الحياة المادية ، فانهم لم يتخيروا بلا ريب إلا القليل من حضارة اسلافهم المباشرين كا وجدوها لدى احتلالهم المبلاد ، وإذا طرحنا جانباً بعض الأدلة القديمة المتبقية في التنسيق المعاري لبعض الآثار فليس هناك ، على كل حال ما يعطينا البرهان على ذلك . وقد اصبحت ثقافة المستعربين Mozarabes بالطبع هي الوريثة الوحيدة تقريباً للتقليد الفيزيقوتي ومع ذلك فانها ، حيثا تتميز عن الثقافة الاسلامية تكون في اعلى درجة كافية من الركاكة .

هناك تأثير آخر ، وهو ليس من السهل تحديد مداه ايضاً ، يجب ألا يهمل وهو يتملق باسبانيا الاسلامية في ذلك العصر : ذلك هو الأثر الذي استطاعت ان تحدثه فيها ، خلال فترة طويلة وسقات السلاف المتتابعة او صقالبة اوروبا (۲۷) و يجب ان نبادر الى الاتفاق على معاني هذه الكلمات فهي مع ذلك ذات الكلمات الافرنسية (عبيد» وتعني الاوزوبيين الذين هم من اصل رقي وكان مسلمو اسبانيا يشترونهم لادخالهم في الجيوش ، وفي بعض الحالات لاستخدامهم نظاراً او رؤساء للخدم . ولقب اقتنوا منهم في القرن العاشر بصورة خاصة ، عدداً هائلا : فقد كان يوجد منهم في بعض الاحيان اكثر من خمسة عشر الفا في قرطبة وحدها . وكان هؤلاء يردون من بلاد اوروبا الوسطى والجنوبية وشواطىء البحر الاسود والكلابر جنوب إيطاليا Calabre ولومبارديا ، ومنهم ايضاً من كان يرجع اصله الى شمالي شرقي القارة . أما الخصيان المهيأون لحراسة الحريم فكان أصله الى شمالي شرقي القارة . أما الخصيان المهيأون لحراسة الحريم فكان تجار اليهود هم الذين يقدمونهم ؟ وكان لهؤلاء التجار عملاء وصيادون الصقالبة قيد أعتقوا و مخاصة اولئك الذين كانوا جزءاً من خدم بيت الصقالية قيد أعتقوا و مخاصة اولئك الذين كانوا جزءاً من خدم بيت

الخليفة : وبعد ان تحرر هؤلاء الموالي من حالة العبودية بقوا في خدمة العساهل الخاصة ولم يلبثوا إلا قليلا حتى بلغ شأنهم في مملكة قرطبة مبلغا عظيما ؛ وسرعان ما نراهم وقد كو توا طبقة حقيقية ذات امتياز ؛ وفيا بعد نجده ، على اثر سقوط الخلافة ، يكو تون عصبة تناهض في آن واحد الحزب العربي الاندلسي وحزب البربر بانتظار ان يتمكن اشده بأسا من تنظيم امارات صغيرة مستقلة لانفسهم : في دينيا Dénia وفي فالانسيا وفي تورتوزا على طول الشاطىء الشرقي لشبه الجزيرة ، واننا غلك البرهان على ان هؤلاء السلاف قد دخلوا جميعهم في الاسلام بسرعة فائقة : فباعتبار انهم كانوا يجلبون الى اسبانيا بصورة عامة وهم صغار السن فانهم كانوا يتعلمون لفات البلاد ويصبحون اندلسيين اذا صح التعبير ، وعلى الرغم من انهم كانوا يفقدون كل صلة لهم ببلادهم الاصلية التعبير ، وعلى الرغم من انهم كانوا يفقدون كل صلة لهم ببلادهم الاصلية بالإ أنهم كانوا يستطيعون ان يجلبوا معهم ، مها كان شأن ما يجلبونه بسيطا ، لا تقاليد ثقافية فحسب وانما ايضا بعض الفنون الجديدة والمفردات الخاصة ذات الصلة بها في الوقت نفسه .

\* \* \*

ان اعمق أو كا يبدو تركه سكان شبه الجزيرة الاصليون في العصور الوسطى على الاندلس من جهتي حدودها الاسلامية هو ذلك الأثر الذي خلفوه في لهجاتها الدارجة في اول الامر لأن احتكاك هؤلاء الاسبان الدائم بالعرب وبالبربر المستعربين جعلهم يضطرون الى تعلم لفة الرومان الدائم بالعرب وبالبربر المستعربين جعلهم يضطرون الى تعلم لفة الرومان Romane وهي الناتجة من اللهجة اللاتينية الشعبية في المدن وجماعات التعبير الوحيدة التي سلكتها آنثذ الطبقات الشعبية في المدن وجماعات

الملتزمين الزراعيين المسيحيين او بمعنى بتعبير آخر المولدين الذين كانوا يممرون الضياع الزراعية ومن ثم لأنه كان على اللغة الرومانية Romane أن تقدم للمربية الاسبانية العامية القسم الذي كان ينقصها من المفردات الحسية .

اننا نكاد نكون متأكدين في الوقت الحاضر بأن مسلمي اسبانيا كانوا في جميع عصور الاحتلال يعدون من بينهم نسبة مثوية همامة نسبيا تتكلم لغتين مما وتستعمل بلا تمييز العربية والرومانية بذات الاهمية في منازلها أم في الطريق المام. ولا جرم أن المسلمين الجدد كانوا يشكلون في هذه النسبة التي تتكلم لغتين ، الجمهرة الرئيسية ، غير ان العرب الاقحاح انفسهم ، يبدو انهم لم يأنفوا ، منذ إن كان نفوذ لغتهم الكتابية ما زال على حاله لم يعتوره شيء ، من استعال الرومانية في احاديثهم الخاصة وذلك على كل مستويات المجتمع وحتى في صالونات منازل الخليفة نفسها (٤٨). اما عن تغلغل الرومانية في العربية العامية في شبه الجزيرة فان لدينا عليه شهادة لا تدحض : انها مدونة في المعاجم العربية -اللاتينية أو العربية القشتالية التي وضعت في أسبانيا في العصور الوسطى . وكذلك في الكلمات العديدة المتبقية من اصل رومـــــاني التي يمكن ان يحصيها في التعابير العربية في شمال مراكش والمدن الكبرى ذات التقليد الاسباني مثل فاس وتطوان وطنجة ، وهذا امر لا يقل اقناعاً عن سابقه . حتى لو لم نحسب حسابًا للكلمات الرومانية التي تنتشر في كل صفحة من ديوان Guzman مثلًا فانه يكفي ان نستعرض اعمدة القواميس التي عملت اسبانيا المسيحية على تأليفها ايفاء لمآرب المشرين عندما شرعت في ارجاع المقاطعات المستردة عن اسلامها ، لكي نقدر مدى الأثر الذي خلفته

اللغة الرومانية في تكوين اللهجات التي تكلمها المسلمون في شبه الجزيرة به بعد ان نترك بالطبع التعابير الدينية المسيحية التي هي نفسها عربية صرفة مع ذلك في اكثرها: لم تفرض هذه اللغة على مسلمي شبه الجزيرة كلمات عديدة حلت محل كلماتهم الكلاسيكية الماثلة فحسب وانما فرضت ايضاً خواص في نوع تركيب الكلمات واشتقاقها وقد كثر استعالها كالتعابير العربية الصرفة او كالتعابير التي تعربت منذ زمن طويل: منها الواخر اسماء الفاعل واسماء التصغير المطابقة الأواخر الكلمات الرومانية واكد والكلمات واشاء التصغير المطابقة الأواخر الكلمات والمومانية على من يتولى ادارة النزل المومانية م و وكذلك fundac' fondoc » للدلالة على من يتولى ادارة النزل ربع ، علة . يجب مع كل ذلك ان تلفت الانتباه الى ان الاعارات التي قدمتها العربية الاسبانية للرومانية في العصور الوسطى تبقى طفيفة الذا ما قارناها ، من الناحية العددية بتلك التي كانت آخذة في تقديها الى الرسوخ .

ان دراسة هذه الاستعارات الاخيرة التي تنفح القشتالية والبرتغالية والقطالونية وهي اللغات القومية الحالية في شبه الجزيرة عبيراً من العربية جد نفاذ ومدعاة للبحث ؛ هذه الدراسة لا تقدم لنا قيمة في فقه اللغة فحسب بل انها تكتسي طابع الاهمية الخاصة حالما نتوسع فيها لتشمل وقائع الحضارة التي بررت هذه الاستعارات اللغوية ؛ فهي تقدم الدليل الضمني ، ولكن الذي لا جدال فيه ، على الاثر العميق الذي مارسته الثقافة العربية الاندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الاببيرية بكاملها .

ان اللغة الاسبانية قد اشتقت من حيث جوهرها من اللهجات الايبيرية - اللاتيلية التي كانت تشكل الرومانية - الاسبانية ؛ وبدون أن نذهب الى أبعد حدود التبسيط في طرح المسألة المعقدة لأصول هذه اللغة الاسبانية فاننا نستطيع على كل حال ان نتحقق من انها وجدت نفسها مضطرة ، طيلة مرحلة نموها ، وحتى القرن الحادي عشر على الاقل ، الى ان تأخذ من العربية كل مساكان ينقصها حتى ذلك الوقت التعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مضار المؤسسات والحياة الخاصة ، وهذا التحقق هو غنى بالمعلومات بصورة فريدة .

واذا ألقينا نظرة على اصطلاحات التنظيم المدني او العسكري لدى اسبانيا في العصور الوسطى او في العصر الحديث فاننا نكتشف فيها عدداً ضخما من المفردات ذات الاصل العربي: ففي مراتب الجيش يطلق على رتبة الملازم حتى الآن Alferez وهي الكلمة العربية: الفارس ؟ والمقدمة هي في الاسبانية Atalaya وهي الكلمة العربية: الطليعة والمؤخرة هي aga وهي الكلمة العربية الساقة. وما زالت مفردات التحصين جميعها تقريباً هي نفسها التي كانت في العصر الاسلامي ؟ والى جانب ذلك فان من الكلمة العربية تحتل في تعابير البناء الفنية مكانا كبيراً: فالمعاري يسمى Albanil من العربية : البناء ؟ والعدسة abia من العربية : الطابية ويدعى من الكلمة العربية : البناء ؟ والعدسة الطوب . ولا يقل أثر العربية وضوحاً في مؤسسات الدولة : فالضرائب تسمى : Alcabala وهي بالعربية : غرامة وبالاسبانية الماضرة على شيخ الجماعة حتى الوقت الحاضر : والاسبانية القاضي العربية ، واستعمل مسيحيو اسبانيا من الكلمات التي تدل على المناصب المدنية كلمتي : صاحب المدينة وصاحب المدينة وصاحب المدينة وصاحب

الشرطة مع الاشارة ، في الوقت نفسه الى تعبير صاحب : , Zalmedina . وظل رئيس التجار (الشاه بندر) في شبه الجزيرة يدعى زمناً طويلا Almotacin وهي عبارة مأخوذة مباشرة من الكلمة العربية : المحتسب (٤٩) .

لو أمعنا في هذه الاستقصاءات حتى تشمل مفردات الحياة اليومية لأصبحت اسهاباً طويلاً بل ومن المحتمل ان تصبح مملة لذلك سنةتصر هنا على الاشارة الى الألواع المتعلقة بعناصر اللغة والتي ترتبط بها غالبية تلك الاستعارات ، إلا أننا قبل ذلك نذكر بكلمات قليلة ، بنصيب اللغة العربية الكبير في مصادر أسماء المكان الراهنة ، ان هذه اللغة تدل على ان اسماء عربية كانت قد خيمت Ont Recouvert احياناً كثيرة ، وبخاصة في جنوب شبه الجزيرة ، على التسميات الابيرية القديمة ثم حذفتها . كذلك فان الاسماء العربية الاصل ايضاً تتغلب احياناً فيا يختص بأسماء الأنهار مثل الوادي الكبير Tanajar والوادي الابيض Guadalaviar وأسماء مدن الحصون مثل ، المدور Guadalaviar او حصن الحجر عاماء الداسط المحقيقية مثل مدينة سليم Medinaceli وقلعة ايوب Cal'at Ayub او الباسط . Albacete

 الاقالم الشرقية في اسبانيا بفضل تلك الطرائق في الري ، تحرث كا كان الامر في زمن المسلمين . وهذا لا يعني ان اصطلاحات الري ليست عربية ، فهي عربية ، ما عدا بعض الشواذ النادرة ، ابتداء من النوريا Naria وهي كلمة انتقلت من الاسبانية الى الافرنسية ولم تكن غير الكلمة العربية ناعورة . وكذلك هي الحال في المفردات الحاصة بصيد البحر لا سيا اذا كانت ممارسة هذا الصيد بواسطة الشباك او المضربة بالعربية على المفرنسية والاسبانية .

ان ما تقره معاجم علم النبات من الألفاظ العربية لا يقل نسبة عن ذلك: فأكثرية أسماء الفاكهة والازهار المنزرعة تشهد حتى الآن في اسبانيا على استعارة مباشرة من اللغة العربية وهي بدورها كثيراً ما استعارتها من الفارسية وقد انتقل ايضاً عدد كبير من هذه الأسماء الى المفردات الافرنسية عبر البيرينية: مثل المشمش (برقوق) abricot ، الزعرور azerole الياسمين jasmin ) الزعفران raa'fran ، الزعرور يدعى في الاسبانية معاهد والزيت aceit ويتساءل المرء فيما يتعلق بهدنه في الاسبانية معاداتها ، لماذا لم تتغلب التعابير اللاتينية كما هو شأنها في اللغة الفرنسية معادامت زراعة الزيتون في اسبانيا لم تكن من ابتكار المرب . وتدين اللغة الفرنسية ، بطريتي الاسبانية ، الى العربية بعدد من اسماء الالوان المستقلة عن اسماء الازهار والفاكهة : ازرق azur ، وهمين عد غريب ، بما أن الكلمة التي تقابلها في العربية الاسبانية قصد جاءت على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قد عادة عادة عالارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قد عادة عادة عالى العربية بعداد الاسبانية قد عادة عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قد عادة عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قد عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قد عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قدية عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قدية عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قدية عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية قدية عادة على الارجح هي ايضاً. من العبارة اللاتينية وهو على المناتية وهو المناتية وهو على المنات ال

ولمحن نعلم ان اللون الشقائقي ، كان يعني في الاصل قماشًا من الحرير 'نقيل فن صناعته الى اسبانيا من العراق في القرن التاسع. وتمكاد اسماء الاقشة في الاندلس الاسلامية تكون كلها على حد سواء اسماء آسيوية ، فأما تكون عربية صرفة او مشتقة من الفارسية او تكون بالتالي على علاقة بالمدن الصناعية في الشرق حيث ازدهرت صناعتها . وقد دخلت غالبية هذه الاسماء الى الاسبانية في العصور الوسطى. واذا كانت لم تبق منها حتى الآن إلا نسبة صغيرة فما ذلك إلا لأن الأذواق قد تغيرت ولأن الاقمشة الحريرية القيمة التي كانت ذات شهرة فائقة في اوروبا منذ عشرة قرون قد تبدلت موضتها منسلة زمن طويل. وحينذاك كانت مفردات زينة الرأس واللباس والأحذية كلها عربية ايضاً على وجس التقريب : وليس على المرء حق يتأكد من صحة ذلك إلا أن يقلب الوثاثق المحفوظة عن ذلك العصر ومخاصة عقود الزواج. فقد كانت ثياب السيدات المسيحية الادان ، من قبل اعادة الفتح ومن بعد على حد سواء ، بأنواع غنية من الملابس « العراقية » إذ كان يقال احياناً التعابير العربية ذاتها : algubas اي الجبة ، adorras اي الدرة ، وهي الجبة المزررة ، allihafes اي اللحاف ، ويكني به معطف الفراء mobatanas اي الفراء المبطن وكان القياش المقصب البروكار يسمدعي alvexi والنسيج الحريري الموشى الطراز altiraz . وكذلك فان المجوهرات كانت تحمل ، في اسمامًا ذاتها ، طابع التأثير العربي وأولية قرطبة او اشبيلية فيا يتعلق بالموضة ، ومثل هذا كان شأن السجاد ، والصناديق والأقداح ، وقد كانت تشكل في ذلك الرقت ، سواء في اسبانيا المسيحية أم في اسبانيا المسلمة ، عماد الاثاث في البيوتات الارستقراطية والطبقات الموسرة (٥٠٠).

\* \* \*

يبدو انه لا داعي الى مزيد من التنبيه على الاهمية الاجتاعية المرتبطة بهذه الاستعارات جميعها ، وعلى أن جمعها وتصنيفها يشهدان هما ذاتها على ما وراء فائدة هذه الظاهرة اللغوية , انها افضل جمسم الوثائق التاريخية التي نملكها ، تبرز الاشعاع الحضاري الحقيقي الذي سلطته اسبانيا العربية على اسبانيا المستحدة والبلاد الجاورة ، وعلى نحو مشابه الإشعاع صقلة العربية ثم صقلمة العربية – النورماندية ، سلطته على ايطاليا قبل عهد التريسنتو وانما بشكل اقوى وأبعد مدى . ان هذه الاستمارات هي اكثر الأدلة افصاحاً على سيادة الدولة الاموية الثقافية سيادة لا جدال فيها ، استطاعت ان تنمم بها في شمال شبه الجزيرة ، في هذه البلاد التي تقل جمالًا وخصبًا وحظوة في توزع الثروات الطبيعية عن الاندلس الغنيسة . وبفضل هسذه الاستعارات ، يستطيع الحيال أن يستثير ، دون أن يقع في شراك الوهم ، صورة سيدات برغس Burgas او ليون Leon وهن يمطرن سفراء البلاط على أثر عودتهم من بعض المهام الرسمية ، بأسئلتهن متلهفات على معرفة انواع الاقمشة والألوان الدارجة ، وأنسجة البروكار الثقيلة ، والمبتكرات من العاج وأحجار الكهرباء السوداء وقناني البلور المصقول ، التي كان تجار قرطبة يعرضونها في اسواقهم (٥١) .

لم يصل اشعاع الثقافة الاندلسية على الاراضي المسيحية اقصى مدى

اندفاعه في القرن العاشر لكي يأخذ بالتلاشي بعد ذلك. فقد امتد ، على العكس حتى القرن الخامس عشر باسطا خيوطه على جميع اجزاء شبه الجزيرة . ولم يفعل ملوك قشتالة شيئًا وكذلك ملوك ارغونا دون شك ، لبردونه عن بلادهم الخاصة ؟ بل شَجْعوا هذا الاشعاع ايضاً وذلك بأن تبنوا هم انفسهم وفي احتفالات بلاطاتهم شتى المبتكرات المستقاة من الحضارة المجاورة مباشرة. وأن قيام بعض عواهل اسبان بضرب عملات ذات وجهين عربي وقشتالي هو امر كثير الوقوع (٥٢) ولقد ذكر ان السيد Cid لم يبق جامداً ، لم يتأثر بمفاتن الحضارة الاسلامية الاندلسية عندما كان ، في اواخر حياته ، يسيطر على فلانسيا لا ينازعه في السيادة عليها احمد ؟ فقد استعرب الى درجة لا بأس بهما في حياة الامارة والمدنية التي قضاها اخيراً ، على أثر الغزوات العديدة التي وجهها طوال حياته لصالح بعض الأمراء المسلمين او ضد هؤلاء الأمراء انفسهم على حد سواء (٥٣) ولا تقل حالة فرديناند الثالث غرابة عن ذلك وكذا حالة الفونس العالم . وقد ابدى مسلم من مسلمي قرطبة ، استقر في طليطلة قبل هذا التاريخ بزمن طويل ، عجبه من مقابلة جرت له مع الكونت سانشو القشتالي المتوفي عام ١٠١٧ وهو يروي ذلك للمؤرخ ابن حيان : « عندما وصلنا الى خيمته وجدناه جالساً على دكة منجدة بالفرش تنجيداً كاملاً ، مرتدياً على الطريقة الاسلامية ؛ كان حاسر الرأس فقط (١٠٤) فكل اولئك الابطال الذين لم يعرفوا الكلل, في اعسادة فتح اسبانيا ، الذين كانوا يقاتلون من اجل وطنهم وعقيدتهم فانتــا نراهم لا يقلون عن غيرهم اعجابا بحضارة اعدائهم السياسيين التقليديين ؟ فقد كانوا يعترفون بكل ما كانت بلادم ذاتها تدين به الى ثقافة هؤلاء الاجانب ، الذين كانوا يبتنون اجلاءهم عن ارضهم .

حتى اننا فيماً بعد نرى شارل كان الكبير يتمرد تمرداً بدون جدوى بالطبع - في وجه مشاريع تحويل جامع قرطبة المدهش الى كاتدرائية وقد كان يأمل في ان يراه سالما كا هو .

على الرغم من ان فرنسا كانت في العصور الوسطى في عزلة عميقة بسبب من وضعها الجغرافي ؟ إلا ان هذا مع ذلك لم يحل دون معاناتها من بعض النواحي ، عاقبة تلك المؤثرات التي أثرتها حضارة الاسلام في الاندلس على المالك المسيحية في شمال اسبانيا . ذلك أن الحملة الصليبية الافرنسية التي استهدفت عام ٢٥٦ه ( ١٠٦٤ م ) المدنية الاسلامية الارغوانية برباسترو Barbastro ، كانت تضم في صفوفها ، فرساناً ، بقيادة امير نورماندي ، من اغلب مقاطمات المملكة . فلما فاجأت المدينة وانتهت من نهبها ؛ عادت عبر جبال البيرينيه ومعها اعداد هائلة من الأسرى المسلمين . وليس ما يمنع هنا من الظن بأن هؤلاء الأسرى قد عماوا في المدن التي سيقوا اليها قبل ان يذوبوا في جمهور السكان ، على نشر المعرفة ، حولهم ببعض الفنوت والاساليب التي لم تكن قد خطرت ببال اسيادهم بعد . وقسد رأينا بأن غالبية الكلمات المشتقة من العربية في اللغة الافرنسية قد دخلت اليهاعن طريق الاسبانية . ومن المحتمل ان يكون هذا هو شأن كثير من المؤثرات التي قدرت فرنسا على تقبلها من الاسلام قبل زمن الحملات الصليبية الى الشرق او حتى أثناء هذه الحلات , ولم نحدد حتى الآن تحديداً كافياً دور الاستعارات المباشرة او غير المباشرة التي كانت فرنسا العصور الوسطى تدين بها للاندلس الاسلامية . وهي استمارات نكتشف أثرها ، حتى بدون ان نتكلم عن الحج الشهير الى كاتدرائية سانياغو · Saint - Jacques - de Compostelle ابتداء من القرن الحادي عشر وذلك عندما اخــذ ذهاب

رهبان الكلونيزيين Clunisiens والسترسيين Cisterciens وإيابهم المتواتر بين الدين . اديرتهم وبين طليطلة يزيد ايضاً في تسهيل التبادل الثقافي بين البلدين .

\* \* \*

لم تكن المؤثرات الفنية ، بين هذه المؤثرات المختلفة التي تلقتها اسبانيا وفرنسا في ذلك المصر ، أقلها جدارة بالاعتبار ، ولقد أقام على وجودها الدليل ، اليوم ، اميل مال Emile Mâle في شرح نيتر نتيجة دراسات مستفيضة تولاها عن كل ناحية من نواحي جبال البيرينيه ، ونتج عن هذه التحريات ان الفن الروماني في العصر الوسيط الأعلى مدين لفن ما قبل القرن الثاني عشر في اسبانيا الاسلامية بسلسلة كاملة من الاستعارات تظهر مواضيع الزخرفة في داخل الابنية وخارجها اكثر بما تظهر التنسيق في فن البناء الزخرفة في داخل الابنية وخارجها اكثر مما تظهر التنسيق في فن البناء هو الوحيد الذي لعب دوراً في الفن المسيحي في رومانيا الغربية قبل هو الوحيد الذي لعب دوراً في الفن المسيحي في رومانيا الغربية قبل تفتح الاسلوب القوطي او الأوجيفالي Ogival ؟ وقد رافقته مجاوبات نومباردية وفرنجية وحق شرقية وبصورة خاصة في كاتالونيا ، ولم يقلل ذلك من حدته ولا من قيمته .

لقد تطورت الفنون الوسيطة ، التي كانت تسهل في اغلب الاحيان تلك العلاقات على ارض شبه الجزيرة نفسها : فهي بحسب الامكنة ، والعصور واصل اصحاب الآثار يطلق تارة اسم الفن المغربي وطورا الفن الموديجر Modéjar . وأقدمها هو الفن المغربي وقد ظهر في اسبانيا المسيحية منذ بداية القرن التاسع عشر نكي يقيم فيها بصورة نهائية تقريباً ، مكان

ذلك الفن ، فنا اكثر عراقة في القديم ، يسمى احيانا : الفن الاستوري المناف ، فنا اكثر عراقة في القديم ، يسمى احيانا : الفن الاستوري Asturien وهو فن مشبع كله بالتراث الفيزيقوطي الذي تأثر قبل ذلك تأثراً لا بأس به في المشرق . لقد درس السيد قوميز مورينو Moreno (٥٠٠) تملك الكنائس التي أقامها النصارى الخاضعين لحكم عرب المفرب ، في قشتالة وليون وغاليسيا ، دراسة مستغيضة في عصري الامارة والخلافة الامويتين في الاندلس فوجد انها تتميز بصورة داغة بالعقود (القباب) التي ترتفع فوق أقواس على شكل حذوة الحصان .

فعن طريق فن المسيحيين الخاضمين لحكم عرب المغرب او عن طريق فن قرطبة في عصر الخلافة مباشرة اقتبس الفن الروماني بلا ريب جزئيات عديدة لتزيين كنائس هذا الفن: فان استعال اله Modillon وهي طريقة في تزيين (الاعمدة) نحتا والقوس المتجاوز والقبة المضلعة يظهر جوهر هذه الذكريات وقد عكف السيد ايلي لامبيرت، في دراسة له، على تحديد تلك العلاقات فوجد نفسه مساقا الى تقرير الحقيقة التالية (٢٥) وهي وان مهندسي البناء والمزخرفين المسيحيين، في فرنسا واسبانيا، قسد اقتبسوا بالتأكيد في عصر الفن الروماني، عسدداً وافراً من خيرة اشكال فن الاسلام الاسباني – المغربي؛ إلا انهم كانوا داعًا يقلدون تلك الاشكال في اوسع بحال من الحربة أي بمعنى آخر كانوا يبدلون فيها بروحية تختلف الوسع بحال من الروحية التي ألهمت في ابداون فيها بروحية تختلف عن الروحية التي ألهمت في ابداع نماذجها».

وقد تنطبق هذه الملاحظة نفسها على فن البناء غير الديني، وهو فن لم يدرس بعد إلا قليلًا على الرغم من وجود عدد من الآثار المدنيـــة

الجليلة والصنائع العسكرية والاعمال ذأت النفع العسام كالجسور والأقنيسة المائمة المعلقة ، التي يرجع تاريخ انشائها في اسبانيا الى العصور الوسطى . ويظهر تأثير الاسلام في اسبانيا كذلك ، بصورة لا تقل عمقاً ؛ في تطور الفنون الصغرى ، سواء أكان ذلك في صنع العاج كما يكن ان يشاهد على الصناديق الاسلامية الصغيرة ، او من صنع الرعايا المسيحيين في مصانع كونكا Cuenca وقشتالة ام في المصنوعات الذهبية والزجاجية والخزفية الشهرة المعدنية ، تعمل في ملاقا ومنيزيا بالقرب من فالانسيا حتى الى ما بعد اعادة الفتح . وبعد اعادة الفتح كذلك بقي المرء يرى معامل الاسلحة في طليطلة وصناعة الجاود في قرطبة آخسيدة في الازدهار ، وها هنا مصدر اشتقاق كلمة كندرجي في اللغة الفرنسية Cordonnier ، كما شو معروف. ان الكؤوس المقدسة والصلبان وتيجان قشتالة الملكية وملابس الابهة الرهبانية التي كان كثير من خزائن الاسبان المقدسة Cacristies مَا يِزَالَ يُحْتَفُظُ بَهِـا ايضًا حتى وقت قريب تزدان في اغلب الاحيــان " بنقوش تمت بصلة مباشرة للفن الاسباني – المغربي وأحياناً تزدان بنقوش عربية حيث يكننا بعد التدقيق ان نتبين آيات قرآنية محرفة بسبب من تتابع الناسخين.

## \* \* \*

ومن الممكن ايضاً اثبات هذا التداخل بين الاسلام والمسيحية في الغرب الوسيط ، على نحو اكثر جلاء ، في مجال الفكر . وسنرى كذلك ان الثقافة العربية الاندلسية هنا لم يكن لها اقل دور تقوم به . ولكن قبل هــذا

يجب البحث الى أي حد استطاعت هذه الثقافة نفسها ان تجنى وتستكمل طوال عصور ازدهارها ناحية ما من الميراث الذي خلفته لاوربا الحضارة اليونانية - الرومانية عن طريق الغزوات الألمانية . وعلينا ألا 'نخفي عن بالنا بأن المسألة التي يصعب حلما تكن ها هنا . واذا خيل الينا وجود تأثير ما فاننا سوف لا نستطيع ايضا تقديم الدليل المادي الذي لايقبل الجدل. وليس ذلك سوى اختلاط هذا الادب الاسباني الذي كنا نراه خاصة حتى ذلك الوقت خاضعاً لسلطة المشرق الاسلامي ، اختلاطاً طويلاً ينتهي به الى الالمام الدقيق بضرب من التخصص الفكري ومن المحتمل ألا يكون هذا التخصص قد حدث كظاهرة عفوية فحسب . فان صفحات من كتاب النثر ومقاطع من شعر الشعراء تفضح في معرض هذا الكلام نبرة خاصة لم نكن قد ألفناها في دراستنا للأدب العربي في المشرق. والقول: « بأن الادب الاسباني - الاسلامي في القرن الحادي عشر يتبدى لنا في شعره كأنه خليط عجيب من القديم والحديث ، من الكلاسيكية والرومنطيقية ، من الشهوانية والصوفية وبالتالي من الوثنية والمسيحية (٧٠) » هو قول يذهب في الجازفة الى حد بعيد مع ذلك بالقياس الى ما بلغه في نهاية المطاف ۽ .

وهنالك حالة ، وان كانت اجدر بحالة عالم اللاهوت ، الفيلسوف منها بالكاتب الناشر ، إلا انها نموذجية بين جميع الحالات . انها حالة ابن حزم الشمير الذي تزدد اسمه من قبل مراراً عديدة فيا تقدم . هذه الشخصية التي جاءت الى الوجود تماماً في ختام القرن العاشر هي النموذج الكامل للعربي الاندلسي ، الارستقراطي ، العالم ، الذي يمت لأواخر عصر الخلافة . نشأ والده عصامياً وقد تخلى عن منزله بجوار مدينة هويلفه Huelva

ليؤم قرطبة وينخرط في سلك الادارة الاموية ويظل يتنقل في مراتبها الى ان ينتهي وزيراً للمنصور. فقد نشأ ابن حزم في هذا الوسط المتألق بذوي المناصب الرفيمة في البلاط ، وشرع في تثقيف نفسه تثقيفًا كلاسيكيًا ثم أكمله . وبعد ذلك اندفع في معتزك السياسة ، وسط العاصفة التي ستطيع ببناء الخلافة ؛ وبقي وفياً للأمراء الأمويين الذين قضوا نحبهم واحداً تلو الآخر على نحو غامض , وبعد قليل عزف عن الاضطلاع بأدنى دور فعال في الدولة وما جاء عام ١٠٢٤ – وكان قد بلغ تمام الثلاثين من عمره – حتى انصرف نهائيًا الى الحياة العلمية والجدل لينافح ، بضراوة لم تعرف الكلل حتى نهاية حياته ، اتجاهات الفقهاء المالكيين الجامدة . وهكذا اخذ يعد عندئذ آثاره الرئيسية في الفلسفة والحقوق والفقه ويأتي في مقدمتها كتابه في تاريخ مختلف المذاهب الدينية في الاسلام ، كتاب الفصال في الملل والنبحل: فهو نقد عنيف لمذاهب بعض من بني دينه، كالأشعريين كما انه لم يوفر فيه ايضًا عقائد الاديان المنزلة الاخرى مثل اليهودية والنصرانية . وفي جميع هذه الفروع كان انتاجه خصبًا جدًا ولكنه انتاج النضج وقد الف ، وهو ما يزال يافعاً ، بحثاً صنيراً لا تقدر قيمته بثمن هو « طوق الحمامة في الالفة والالاف ، وهو من نواح عندة يعتبر أكثر الآثار تمييزًا وأصدقها تصوىراً للثقافة العربية الاندلسية .

يتخلل هذا الأثر، وهو من ثمرات الشباب، ذكريات المؤلف في فترة المراهقة العابثة. إلا أن يبدو كأنما هو تحليل حقيقي للهوى المدله من خلال اكثر ظواهره تواتراً ونتائجه الطارئه كالافتراق والوحدة وسلوان المحبوب. والذي لفت النظر الى وجوده هو دوزي ثم جاء بتروف وآسين ونيكل فدرسوه بأناة واحداً بعد الآخر إلا انهم توصلوا الى نتائج غير

منفقة في اغلب الاحيان . فان السيد ميكيل آسين ، بصورة خاصة (١٩٥٠) ينقض نقضاً تاماً رأي دوزي الذي يرى في هذا الأثر لابن حزم حصيلة اصل وتربية غير عربية قبل كل شيء . فانه في نظر هذا المؤرخ الشهادة على خصائص وراثية اسبانية وبدون شك مسيحية . ولكن عالم مدريد الاكاديمي لم يتبيب ، تساندة البراهين ، من ان ينكر هسذا الزعم حول السفة الاسبانية الخاصة له وطوق الحامة ، ؛ ولا شك في انه على حق . فالحب الافلاطوني كا حلله ابن حزم على ان فيه من الرقة بقدر ما فيه من الكياسة من المحتمل ان يكون قد سام ، من مقره في اسبانيا ، عن قرب او عن بعد في تطور الحب و المؤانس ، متكرات الاندلس . فلقد قرب او عن بعد في تطور الحب و المؤانس ، متكرات الاندلس . فلقد كانت بقية العالم الاسلامي تعرفه منذ المصر الذي اشتهر فيه المشرق ، على الأقل ، بوجود تيار من الأخلاقية الاجتاعية وبوجود الميل الى التصوف ومارسة حياة النسك . وان اكثر الحوادث الواردة في كتيب ابن حزم ، تعبيراً ، تجد نظائر لها في نفس الزمن ومن قبل ذلك ايضاً في الآداب تعبيراً ، تجد نظائر لها في نفس الزمن ومن قبل ذلك ايضاً في الآداب العربية في المشرق .

ويجب ؛ على كل حال ؛ ان نضيف بأن من بين ثلث الحوادث ما عرف ابن حزم ؛ وهو الفنان فيا يكتب ؛ كيف يضفي عليه جواً حزينا ؛ اخاذاً حقاً . وفي مجمّه همذا عن الحب صفحة كثيراً ما ردد ذكرها لأنها تبلغ حداً رفيعاً في تعيين نوع الحياة في قرطبة في القرن الحادي عشر وتهيء للخيال دونما شطط ان يستعيد كنف ذلك المجمّع المرهف الذي كانت النعومة تتغلب فيه ؛ على نحو طبيعي ؛ على خشونة اللذات الجسدية . ثلك هي القصة المتعة عن الجارية الشابة : خاوة وقعد دنا منها ذات يوم ؛

الشاعر القرطبي ، الرمادي ، في حديقة قرب الوادي الكبير ، وبعد بجاذبة قصيرة في الحديث ارادت فيه الجهولة ذكر اسمها للرجل الانيتي الذي يخاطبها ، ثم نسمعها وهي تتخلص بمهارة وبرقة لا نظير لها ، من الجواب على طلبه موعداً للقاء . فمن الممكن ألا نعثر في جميع الانتاج الاسباني على قصيدة قد بلغت في الرقة الانسانية شأن بعض جمل تلك الصفحة على قصيدة قد بلغت في الرقة الانسانية شأن بعض جمل تلك الصفحة القصيرة (٥٩) واننا لنشوهها اذا اعتزمنا ترجمتها ، وهي صفحة جديرة بأن يفسح لها مكان في جميع المنتخبات من بين امهات الآثار في اللغة العربية .

\* \* \*

ما من شيء 'يبيح الأمل في اكتشاف الانتاج الفكري الوسيط المجهول حتى الآن والذي سيمكنه ان 'يظهر امارات تأثير آداب اسبانيا المسيحية على اكثر الآثار شهرة في العصر الأندلسي الكلاسيكي . وسوف لا يأخذ هذا النأثير بالظهور حقا إلا في وقت متأخر جداً . فانه يظهر في العصور الاخيرة من تاريخ الاسلام الاسباني عندما تصبح التبادلات الثقافية ايضا تجد مزيداً من التسهيلات بسبب من تقدم حركة اعادة الفتح في الاستيلاء . إلا انه يكون من عدم الانصاف ، ان لا نشر الى الدور الذي قامت به الجاعات اليهودية في تلك الملاقات في شبه الجزيرة سواء فيا يتعلق منها بهذا العصر ام بالعصر الذي سبقه . ان ذكر من مثلهم فيا يتعلق منها بهذا العصر ام بالعصر الذي سبقه . ان ذكر من مثلهم في ذلك يثبت بأنه غير منفصل عن دراسة ، الحضارة الاسبانية الاسلامية حتى وان كانت موجزة ، هذه الحضارة التي اسهم فيها أهل الذمة وكانوا من أبطالها احياناً .

كانت توجد دوماً ، ابان العصور الوسطى طائفـــة من السكان المهود ، عددها لا بأس به تقطن مدن اسبانيا الاسلامية ومدنها المسيحية على حد سواء وكانت أحوالها مزدهرة وبخاصة في ارض الاسلام ؛ على شيء كبير 👚 من التنظم ، تتوارث حب الدرس (٦٠) وكان العاماء الذين أكسبوها هذه الشهرة ، سيشكلون جمهرة غفيرة : فهم ، في الغالب ، اصحاب النامود الذين يسلكون طرقاً مشابهــة للطرق التي بسلكما الفقهاء المسلمون في البلاد ، وأطباء كذلك وتراجمة عرفوا بخاصة بالقيسام بدور الترجمة بسبب من اتقانهم ، في ذات الوقت ، للعبرية والعربية والقشتالية وأحيانـــاً ايضاً للاتعلية واليونانية . وقد استمر عدد كبير من بين هؤلاء العاماء اليهود على شهرته مثل هاسداي بن شابروت الذي صار سفيراً ووزيراً للخليفة عبد الرحمن الثالث وسلمان من غابيرول ، افيسيبرون Avicebron العصور الوسطى ؛ الذي جدد الشعر العبراني وألف في العربية بحثًا فلسفيًا مشبعًا كله بالنظرية الافلاطونية - الحديثة ، بعنوان « ينبوع الحياة ، وما من احد يجهل امم ابن ميمون Maimonide : فهو ايضاً استعمل اللغة العربية ليضع كتابه و دليل التائهين ، وقد حاول فيه ، بعد ابن حزم وابن رشد وقبل القديس توما الاكويني ، ان يوفق بين الايمان والعقل. اما التراجمة فانهم ، وان كانت شهرتهم قد خف تألقها ؛ فاربما ساهموا ايضاً مساهمة اكثر فعالية في الجهد الفكري الاسباني الكبير ، في آخر فترة من فترات العصور الوسطى . وقد قدم اليهود الى ملك قشتالة العالم الفونس العاشر اغلب عمال الفريق الذي شكله في القرن الثالث عشر هذا الأمير الاسباني المستنير الذي يبدو ان ما من مظهر من مظاهر التأمل الفكري إلا وكان يثير اهتمامه ؛ وكان ذلك قبل ان ينتقل مركز الثقافة العبرية من جنوب شبه الجزيرة ووسطها الى قاطالونيا وبروفانسيا .

قفى العصر الذي كان يحكم فيه هذا الملك اصبح جهد حركة اعادة الفتح Reconquête يوشك تقريباً ان يشرف على النهاية ولكن اسبانيا التي أعيد فتحها مـــا تزال مستعربة الى حد بعدد . وأخذ الفونس العاشر يتشكك بالفائدة التي يجنيها من الحسالة الراهنة ، التي يجب ان تتبدل بالضرورة على مر السنين . لذلك فانه عمل على القيام ، تحت رعايت. بمشروع ضخم للترجمة والاقتباس الى اللغة القشتالية من تركة الثقافة العربية التي اورثتها للبلاد. وبثقة تعاون في هذا العمل مسلمون ومسيحيون ويهود بصورة خاصة . وكان ذلك العصر هو الزمن الذي احدث فيسه هذا الامير نفسه معهد الدراسات اللاتينية - المربية وقد اسس في عام ١٢٥٤ في اشبيلية ونال حماية البابا ببراءة موقعة عام ١٢٦٠ من اسكندر الرابع . وعمل فريق التواجمة بصورة خاصة في طليطلة التي كانت قيد اصبحت مسيحية منسف قرابة قرنين . واندفع في تدوين ضخم للوقائع العامة من وجهة نظر تاريخية ، تحت رقابة الفونس العساشر المباشرة ، وقد استخدمت في ذلك المصادر العربية القديمة ؟ ومن النساحية الادبية فقد باشر بمؤلفات ذات شهرة شعبية مثل التاريخ الشرقي لكليلة ودمنة. وعلى كل ما عداه كان في نطاق العاوم الرياضية والطب وبصورة خاصة في علم الفلك ان « حريات المعرفية ، Libras del saber الشهيرة هي اكثر الامور التي ساهمت في صيت هذه المدرسة التي يشار اليها احيانا باسم حاميها: المدرسة الالفونسية.

وكان لمبادهة الفونس العالم انها استعجلت ايضاً مسعى سبق ان بوشر به منذ زمن طويل ، يدرك كل مداه عندما يدرس تأثير الثقافة العربية الاندلسية على مؤلفات اوربا الغربية التي تلي ذلك الزمن وبخاصة على

التآليف الفلسفية ، وسيكون من الاسهاب الطويل ان نتتبع علائم هذا التأثير الخاص الذي اشتهر فيا اطلق عليه اسم ه الصوفية المسيحية ، في واحد مثل رامون لول Ramon Lull ، وهو على مسايظهر تتلمذ مباشرة على النظرية الصوفية لحيي الدين بن العربي الاسباني ، ولم يعد احد يجهل ، من جهة اخرى ان مسألة هذا التأثير قد كانت موضع مناقشات حامية الوطيس في هذه السنوات الأخيرة بعد ان قدم السيد ميكيل حامية الوطيس في هذه السنوات الأخيرة بعد ان قدم السيد ميكيل آسين Miguel Asin الى اهل العلم نتيجة ملاحظاته الثقافية المتعلقة بعلم أثر الانسان المسلم eschatologie في الكوميديا الإلهية Comédie Divine أثر الانسان المسلم وحده وحده الكوميديا الإلهية وداكته التعلقة بعلم الانسان المسلم وحده الكوميديا الإلهية وداكته النظافية المتعلقة بعلم التيابية وداكته النظافية المتعلقة بعلم الدين المسلم وحده الكوميديا الإلهية وداكته التعلقة بعلم التيابة وداكته النظافية المتعلقة بعلم الدين المسلم وداكته التعلقة بعلم الدين المسلم وداكته التعلقة بعلم الدين المسلم وداكته التعلقة وداكته التعلقة وداكته التعلقة وداكته التعلقة وداكته النسان المسلم وداكته وداكته وداكته وداكته والكوميديا الملكة وداكته والتعلقة وداكته وداكته وداكته و داكته و د

ان مدرسة كاملة من الرومانسيان de romanistos وعلى رأسها السيد ر . منيندس R.Mnéndez تمارض اليوم النظرية البروفنسالية السيد ر . منيندس R.Mnéndez عن منابع شعر التروبادور : انها في الواقع تربط هذه المنابع بالشعر العربي العامي في اسبانيا وعلى الخصوص بالزجل . فالقضية معقدة ، عسيرة الحل حتى لو أننا جعلنا على خط متواز استعال المقطع الايقاعي الموجود في كل من هذين النوعين من الشعر ، المتجاورين في الظاهر ، ثم فسرنا اسقاط اللازمة في مؤلفات التروبادور الاكويتانين بعدم فائدتها في شعر البلاط حيث لا جدوى من ترداد الجوقة لها . فان هذه المسألة ستستنفد ايضاً من جميع الوجوه حبراً غزيراً . اما في الوقت الحاضر فمن الجائز على الأكثر ان نسوق قيام علاقات على مر الزمن بلا الحاضر فمن الجائز على الأكثر ان نسوق قيام علاقات على مر الزمن بلا ربب بين هذه الجهة وتلك . فما هي الكيفيات الخاصة لهذا التبادل ؟ بجموعة الأناشيد العامية الاسبانية المغربيسة ، الشهيرة باسم رومانسيرو بجموعة الأناشيد العامية الاسبانية المغربيسة ، الشهيرة باسم رومانسيرو عشر ،

والحراء على وجه الخصوص مسرحاً لها ، فانه ما من شيء يبرهن على انها كانت مجرد نقل الى ان نستطيع العثور على ما يقابلها. تلك هي ، مع ذلك آخر انعكاس من الثقافة الاندلسية سيعمل على اطالة وميضها من خلال هذه القصائد بينا كان الاسلام يهاجر من شبه الجزيرة : ولا يختلف مصدر الالهام فيها عن مصادره في الاشعار الزجلية التي ما زالت تصاغ حتى الآن في فاس او في الرباط حيث احتفظ الذين يحترفون الغناء بجوهر الحكايات العربية الغرناطية سالماً منذ اواخر العصور الوسطى ، حتى بدون ان يدركوا احياناً معاني كلماتها .

لنضع حداً لهذه الاعتبارات ، فقد يجدها البعض صورية الى حد بعيد تمبر عن علاقات الأمور ووظائفها ؛ إلا أنه ما من احد يستطيع ان يعيب عليها انها لم تكن موضوعية على نحو دقيق . وهذا هو ولا شك اهم ما ينبغي في نظرة عامة حيث حاولنا ان نضع الحضارة العربية الاسبانية في موضعها الحقيقي ، في اطار الحضارة المشتركة بين جميع ارض الاسلام بقدر ما حاولنا ذلك في اطار الحضارة الوسطية لأوربا الغربية . ونعتقد اننا برهنا بما يكفي من الدقة كيف ان الثقافة الاندلسية اخذت من جهة تشعر شيئاً فشيئاً بمنعتها وشخصيتها وان كانت بحسب النسب تتعلق بحضارة الشرق التي تلهمها . ثم عرفت من حبهة اخرى ، في زمن هو اقرب الينا ، كيف تفرض نفسها الى حد كاف ، خارج الحدود الاسلامية فتبعث في هذه الأمكنة بعض المنظات والهيئات خارج الحدود الاسلامية فتبعث في هذه الأمكنة بعض المنظات والهيئات الاجتاعية شبيهة بما عندها ، ولكي تؤثر على نحو خاص على تطور الفكر

والمعرفة الاوربية في عصور ما قبل النهضة في ظروف ليس من اليسر ابداً أن نحددها .

إلا أن هناك سؤالاً يطرح نفسه ايضاً لا معدى لذا منه . في اهو نصيب حضارة عرب اسبانيا ، الذي يظهر من خيلال ذلك في الارث الذي حصلت عليه شبه الجزيرة الايبيرية من ماضيها السحيق . اما ان تكون الاندلس قيد اسلمت الى شبه الجزيرة تركة ، فهذا امر لا يثير بالتأكيد اي شك ، فهل كانت مفيدة في بجملها ام شؤماً ؟ ذلك هو كا نقدر الموضوع الذي يهيمن منذ سنوات على معركة تجري بجميا واحيانا حتى بتهجم ، وليست تحتدم فقط من جانب واحد من جبال البيرينيه واننا لا نلج هيذا الموضوع هنا إلا حذرين ودون تحزب . لا سيا في فترة ، كانت فيها اسبانيا تجتاز اكثر الساعات فاجعة في تاريخها القومي كله إذ أن بربر افريقيا عادوا مرة ثانية الى عبور المضيق اليها ، دفاعاً مع احد المعسكرين ضد الآخر ، عن حركة صوفية اجتاعية ليس ما يمنعنا من التخمين بأنها من المحتمل ألا تكترث لهم .

ويجب ان نبادر في الحال الى استبماد بعض الإثباتات لأنها نفسها تستحق ذلك اذ انها لا تمتمد فيا تزعم على مستندات خالية الغرض داغًا لا سيا وان لهجتها الحشنة ، الحاقدة ، مما ، تجعلها في محل شبهة الى حد بعيد منذ البداية . وهي تصدر من ناحية اخرى عن كتاب ليسوا من الاسبان كا انهم ليسوا مؤرخين او مختصين باسبانيا وأكثر من هذا كله فانهم غير مختصين بالاسلام . فانهم بلقون على المسلمين تبعة « اجداب » اسبانيا و « اخلائها » من السكان وانهم جعلوها « صحراء مثل افريقيا الشمالية » ويقسم المرء لدى قراءته ما كتبوا على انهم لم يسمعوا أبداً

خرير نوافير الماء في قصر الحمراء ولم يستنشقوا ابداً العبير الرقيق المعطر في المحكر المبيلية وهم يرون وانا انقل هنا حرفيا رأيهم ابأنه « أقل ما يمكن ان يقال هو ان السيطرة الاسلامية كانت مصاباً جسيما حسل على اسبانيا .

فيا من احد مثقف في أسبانيا اليوم يجرؤ على ان يكون حكا مفرطا في المبالغة الى هذا الحد. ولأن كانت قد حدثت ردة فعل في شبه الجزيرة الايبيرية ضد اتجاه ساذج بوازن في البلاد نفسها في العصور الوسطى بين اسبانيا مسلمة ، مثقفة وبين اسبانيا مسيحية كانت قابعة في الهمجية ، فذلك امر طبيعي جداً ومعقول ايضاً . ولكن اسبانيا حلى الأقلل المبانيا قبل عام ١٩٣٦ – قد عرفت ان تعيد الى اسلام الاندلس ألقابه في مراتب الشرف وادعت وهي مرفوعة الرأس علنا بأنه يعتبر زهرة في تراثها التاريخي والفكري . ولم تأنف من الاحتفال بزهو بمرور الف عام على تأسيس الحلافة الاسلامية في قرطية ، ومن احياء ذكرى العالم اليهودي عام على تأسيس الحلافة الاسلامية في قرطية ، ومن احياء ذكرى العالم اليهودي الاسباني ابن ميمون بعد ذلك بعدة سنوات . وحرصت ، بدون تصنع على ألا تقع في التفخيم والمبالغة ، وعلى ألا تهمل لحساب مفاخرها الاسلامية ، ألا تقع في التفخيم والمبالغة ، وعلى ألا تهمل لحساب مفاخرها الاسلامية ، وبدون ان تحكم بشراسة ، فانها احيانا أيضاً قد طفقت تفكر بما يعترضها من تركة الاسلام ، وهي ما تزال حية ، التي حولها اليها . وما من أحد يستطيع الامتناع من اقتفاء أثرها على هذا الصعيد .

ان حركة اعادة الفتح التي شرع بها باسم مثالية سياسية ودينية قد هيمنت من علي على كل تاريخ شبه الجزيرة الوسيط. انه عمل أناة بطيئة وارادة مصممة ، صلبة وهو بمثابرته وبالجهد الساحق الذي اقتضاه مدة

غانية قرون ، يستدعي الاعجاب والاحترام . واذا كان هذا العمل الاساس عندئد لم يبعد اسبانيا ابداً عن القيام بجميع مهامها الأخرى فانه مع تلك الحركة عمل على تأخيرها عن انجازها . وقد وسمت تلك الحركة للمالك المسيحية الايبيرية المختلفة القيام بجمة الحواس الأماميين اليقظين دوما . وأوضحت لها بالتالي ان هذا الجهد لن يكلل بالنجاح إلا بثمن وحدة سياسية تجمع في ظل تاج واحد ارغونا وقشتالة . وقد حفظت في نفوس أبطالها في جميع العصور ، روحا محاربة ، عنيفة أحيانا ، وحساسية دينية متوحشة . وقد رأت الكتلة الايبيرية نفسها ، طوال متابعتها لإعادة الفتح مشطورة الى شطرين ، وقد توقعت دفعة واحدة ، نهضة اقتصادية متكاملة معجملها ، مطلقة العنان لقيام دولتين اسبانيتين ، تمور كل واحدة متها بطفرات داخلية إلا انها لم تتجاهل احداها الأخرى عن تعمد .

ومن المكن ان اسبانيا المسيحية لم تشعر عندما تمت حركة اعادة الفتح ، شعوراً على مقدار كاف من الوضوح بما اصابها بالقياس الى امم اوروبا الأخرى من التأخر والتزعزع ، بسبب من كفاحها طيلة اجيال في سبيل وحدتها القومية . وعندما اخذتها النشوة قليلا ، ربما نتيجة لسلسلة من الفرص المفيدة مثل : احكتشاف اميركا واستغلالها ، تفوق عسكري بفضل تدرب طويل على فن الحرب واتحادها مع المانيا عندما اصبح احد آل الهابسبورغ وريئاً للهلوك – الكاثوليك – فانها قد اسلست قيادها للانسياق نحو سياسة خارجية متهورة فلم تخرج منها إلا وهي منهكة القوى .

ولكن هل يعزى حقاً هذا الاستنزاف لقواها قبل الأوان الى الاسلام الاسباني ؟ نعم بلا شك في الحدود التي فوض فيها الاسلام على اسبانيا

سبيلاً تسلكه ولا تستطيع الحياد عنه حتى القرن الخامس عشر فاستنضب كل فاعليتها وجميع طاقاتها، ولكن ، مع ذلك كلا على وجه التأكيد في الحدود التي ساعدها فيها الاسلام وذلك بأن نفخ فيها ثقافة متلائمة مع عبقريتها الخياصة وبأن تتبع السبل التي سبق لأمم اوربا الغربية الأخرى أن التزمت السير عليها فقادتها مثل هيذه الأمم نحو عصر النهضة .

كان العالم السياسي الاسباني السيد Cl. Sanchez - Albornoz رئيسا لجامعة مدريد فسفيراً لبلاده ثم وزيراً لشؤونها الخارجية ، إلا أنه كان ويبقى ، قبل كل شيء ، مؤرخاً على مستوى عالى . ولقد تأمل طويلا في مأساة اسبانيا الحديثة الاخلاقية ، هذه المأساة التي استطالت وما تزال تستطيل ايضاً. وعندما يتساءل عما اذا كان وطنه ، الذي جعلته مهمته في أن يكون يقظاً ضد الاسلام ؛ يضطرب في مصيره اضطرابا عميقا ، ما يزال اليوم كذلك ( مصاباً بنقص اصلي ، ؛ يصرخ بكل جوارحه والحق كله معه . فهو يأمل فقط في أن يرى اسبانيا ﴿ تنفض غبـــار ماض ما يزال يثقل روحها ، . إلا أنه يعرف ايضاً ، اكثر من. أي شخص آخر ، كيف اشرق الاسلام على هذه البلاد وماذا كان تراثه الرئيسي فيها : تأثير عميق على الفكر الاسباني لا يمكن انكاره . وختاماً لناترك له الكلام ونردد معه كلمة ، كلمة هذا الاعتراف المؤثر ، العفوي (٦٤) « المسألة اليوم ليست مسألة ظلمات العصور الوسطى » ولكن علينـــا أن نرى مقابل اوربا التي تنمو في التعاسة والانحطاط ، حضارة اسبانيا المسلمة ، الرائعة . فان اساتذة الدراسات العربية (٩٠) يفتحون لنا كل مرة آفاقاً جديدة عن مدى تألق هذه الثقافة الاسبانية المغربية وعمقها، فقد ادعوا ان لها مقاماً حاسماً في تكوين الفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة اوربا المسيحية، وبرهنوا على ان تأثيرها قد بلغ حق ذرى الفكر الوسيط، بلغ القديس توماس ودانتي، كثيرون ولا شك ، في كل ناحية من ناحيتي جبال البيريليه والبحر الابيض المتوسط الذين ينفرون حتى الآن من الإقرار لها بهذا التفوق وذلك الدور الموجه، ومع ذلك فان براهين وافية للغاية تؤكد ذلك منذ الآن ومن يوم الى يوم تنبجس اخرى جديدة وقد انقضت عدة قرون قبل ان تعمل النهضة من جديد على تفجير ينابيع ، كادت تنضب ، كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم وينقله الى العالم الجديد ،





\*5

الفَصِّل الرابِّع

جَكُاولِ لِنَّالِيَّخِ السياسي والاجتماعي والثقاني والأثري ملأندلس ٧١٠-١٦٠٩ ان التاريخ الهجري قد ورد بين قوسين وهو لا يلكر عندما لا يكون الحادث المقابل مذكوراً من قبل المصادر العربية

## تواريخ تتعلق بالتاريخ السياسي

- ٧١٠ (٩١) الاعتراف بطريف في اسبانيا.
  - ٧١١ (٩٢) حملة طارق بن زياد .
- ۷۱۲ (۹۳) عبور موسی بن نصیر الی اسبانیا .
- ۹۱۷ (۹۱) توقیع معاهدة بین تیودومیر وبین عبد العزیز بن موسی ابن نصیر .
- ٩١٨ ثورة بيلاج Pelage في منطقة الاستوريين Asturies وهو تاريخ محتمل لمركة كوفا دونغا.
  - Munusa في شمال اسبانيا .
    - ٧٣١ (١١٣) ولادة عبد الرحمن الاول.
  - ٧٣٢ (١١٤) المفركة المساة بمعركة بواتيه (بلاط الشهداء).
    - ٧٤١ (١٢٣) ثورة عامة يقوم بها بربر اسبانيا .
    - ٧٤٢ (١٢٥) توطين جند بلج من السوريين في اسبانيا .
    - ١٣٨) إبحار عبد الرحن الأول الى ١٣٨) ١٠٥٠
      - ٧٥٧ (١٣٨) بداية امارة عبد الرحن الاول.

٧٥٩ (١٤٢) تنفيذ حكم الموت بيوسف الفهري والصوميل.

. Paderborn يلتقي حاكم سرقسطه المسلم بشارلمان في بادربورن Paderborn

٧٧٨ (١٦٢) حصار سرقسطه من قبل شارلمان .

معركة رونسفو Roncevaux معركة



## تواريخ تتعلق بالتاريخ الاجتماعي والثقافي والأثري

٧١٩ (١٠٠) قرطبة تصبح مقراً للسمح بن مالك .

اعيان من افريقيا يأتون فيستقرون في اسبانيا .

موت Hanash as - San'ani موت

٧٤٢ (١٢٥) جنوب اسبانيا يصبح مرة ثانية مشرقياً

١٥٧ - ١٥٣ ( ١٣٤ - ١٣٦ ) مجاعة في اسبانيا . عودة جزء من السكان البرس الى المفرب .

٧٧٩ (١٦٢) تخريب جزئي لجسر قرطبة .

٧٨٨ (١٧٢) موت عبد الرحمن الاول وارتقاء هشام الاول.

المناداة بادريس الاول في واليلا Walila في ( مقاطعة فولوبيليس الرومانية ) بالقرب من مكناس حالياً ] (١).

٧٩٣ (١٧٧) مات ادريس الاول مسموماً .

٨١٧ (٢٠٢) مسألة «الضاحية» في قرطبة .

٨٢٢ (٢٠٦) موت الحكم الاول وارتقاء عبد الرحمن الثاني .

٨٤٤ (٢٣٠) استيلاء الفيكنز على اشبيلية .

الفيكنز يصعدون مع الغارون الى تولوز .

١٧٨ (١٦٨) تشييد الالكزار في قرطبة .

٥٨٥ (١٦٩) العمل على توجيه مجموع اتباع الكنيسة في قرطبة نحو العبادة الاسلامية .

۲۸۸ – ۷۹۲ (۱۸۰ – ۱۸۰) ترميم جسر قرطبة تصميم جامع قرطبة الكبير .

٧٩٥ (١٧٩) موت مالك بن أنس .

٨٠٨ (١٩٣) بناء ادريس الثاني للدينة فاس .

٨١٦ (٢٠٠) ادخال المذهب المالكي لاسبانيا .

٨٢٢ (٢٠٦) وصول زوياب الى اسبانيا وبدء التأثير العباسي .

٨٢٠ (٢١٠) تأسيس مرسيا من قِبل عبد الرحمن الثاني .

- ١١٤ (٢١٤) تشييد جامع اشبيليه الكبير من قِبل عبد الرحمن الثاني .

٨٣١ (٢١٦) تأسيس مارسيا من قِبل عبد الرحمن الثاني .

. الكبير جامع Jaén الكبير (۲۱۸) ٨٣٣

صحنان جانبيان أضيفا الى جامع قرطبة الكبير.

۸۳۵ (۲۲۰) بناء قصر ميريدا Mérida من قبل عبد الرحن الثاني .

٨٣٩ (٢٢٠) تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطه .

٨٤٨ (٢٣٤) موت الفقمه يجسى اللمني .

٨٥١ استشهاد الفتاتين فلورا وماريا في قرطبة .

٨٥٢ (٢٣٨) وفاة عبد الرحمن الثاني وارتقاء محمد الاول .

٨٥٣ استيلاء النورمان على اورليان وباربز.

٨٥٩ (٢٤٥) استيلاء الفيكنز على الجزيرة Algeciras ( ميناء في مضيق جبل طارق ).

٨٨٦ (٢٧٣) وفاة محمد الاول وارتقاء المنذر .

٨٨٨ (٢٧٥) وفاة المنذر وارتقاء عبد الله.

٨٩٠ (٢٧٧) ولادة عبد الرحمن الثالث .

٨٩١ (٢٧٨) استيلاء عبد الله على اشبيليه ونهبها.

- ٩١٢ (٣٠٠) وفاة عبد الله وارتقاء عبد الرحمن الثالث.
  - ٩١٥ (٣٠٢) ولادة الحكم الثاني.
  - ٩١٨ (٣٠٥) وفاة ابن حفصون مثير الاضطرابات.
    - ٨٥٣ (٢٣٨) وفاة الفقيه والمؤرخ ابن حبيب.
    - ۸۵۰ (۲۹۱) تأسیس قلمة رباح (Calatrava) ،
      - ٨٥٧ (٢١٣) وفاة زرياب في قرطبة .
- al-Karawiyin بناء جامعي القروبين al-Karawiyin والاندلس في فاس معالم استشهاد ايلاجه Euloge وليوكريسيا
  - ٨٦٤ (٢٥٥) وفاة الفقيه العتبي .
  - ٨٧٣ (٢٦٠) قحط في اسبانيا .
- مرد (۲۲۲) تأسيس تينيس Ténès على ساحل الجزائر من قبل مجارة اندلسن .
  - . Kasiy من قبل ابن قصي Lérida من مل ابن قصي ۲۷۰) اعادة بناء ليريدا
    - ٨٨٦ (٢٧٣) بناء بيت المال في الجامع الكبير بقرطبة .
      - ٨٨٩ (٢٧٦) وفاة الفقيه بكر بن مخلد.
      - ٩٠١ (٢٨٨) تأسيس الجامع الكبير في ليويدا.
- • (۲۹۲) وفاة عبد الله بن قاسم بن هلال وهو الذي ادخل مذهب الزاهرية الى اسبانيا .
- سعيد بن المار (٣٠١) تحطيم اسوار اشبيلية وبنساء الالتكازار من قبل سعيد بن المندر ، الحاكم الاموى ،
  - ٩١٥ (٣٠٣) قحط في اسبانيا .
- ٩٢٠ (٣٠٨) استيلاء المسلمين على مدينة أوسما ، وسان استبان دمي قورماز وكلونيا ومُورَيز .

- ٩٢٨ (٣١٥) استيلاء عبد الرحمن الثالث على بوباسترو Bobastro.
- ٩٢٩ (٣١٦) عبد الرحمن الثالث يعلن عن نفسه خليفة وأميراً للمؤمنين.
  - . Ceuta استيلاء الامويين على مدينة سوتا
  - ٩٣٢ (٣٢٠) عبد الرحمن الثالث يستولي على طليطله.
- Simancas انكسار الجيوش الاموية في سيانكاس والخندق Alhandega
  - ۱۵۱ وفاة روميرو Romero الثاني .
  - ٩٥٤ (٣٤٣) نزول الاسطول الفاطمي بساحل المريا Alméria.
    - ٩١٩ (٣٠٧) طاعون في اسبانيا .
    - ٩٢٨ (٣١٥) بناء دار السكة في قرطبة.
  - ٩٣١ (٣١٩) بناء المقر الاموي في Bilyunash بالقرب من سوتا . وفاة ابن مسرة في قرطبة .
  - ٩٣٦ (٣٢٥) تأسيس المقر الاموي في مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة.
    - ۹۳۷ (۳۲۲) مولد الشاعر ابن هانی، .
    - ۹٤٠ (٣٢٨) وفاة الاديب ابن عبد ربه.
    - ٩٤١ (٣٢٩) أمداد جامع قرطبة الكبير بقناة من الماه.
      - ٩٤٢ (٣٣٠) وصول ابو على القالي الى قرطبة .
  - ٩٤٤ (٣٢٣) تأسيس عبد الرحمن الثالث داراً لبنساء السفن البحرية في طورطوزة Tortosa .
    - ٩٤٥ (٣٣٤) قدوم سفارة بيزنطية الى قرطبة.
      - ٩٤٦ (٣٣٥) طاعون في اسبانيا .
    - ١٥١ (٣٤٠) بناء مئذنة جديدة في جامع قرطبة الكبير .
    - ۱۰۳ سفارة جان دي قورز Jean de Garz الى قرطبة.

٩٥٥ (٣٤٤) وفاة المؤرخ احمد الرازي، ،

تأسيس مدينة المريا من قبل عبد الرحمن الثالث.

۹۷ وفاة اوردونيو Ardono الثالث.

٩٦٠ (٣٤٩) استيلاء جوهر القائد الفاطمي على فاس.

٩٦١ (٣٥٠) وفاة عبد الرحمن الثالث وارتقاء الحكم الثاني .

٩٦٦ (٥٥٥) نزول النورمانديين على ساحل الاندلس الاطلنطيكي .

۱۹۷۰ استیلاء النورماندیین علی سان جاك دي كومبوستیل Saint - Jacques de Compostelle

٩٧٦ (٣٦٦) وفاة الحكم الثاني وارتقاء هشام الثاني .

۸۷۸ (۳٦۸) خلم الوزير Mushafi .

٩٨٠ (٣٧٠) قيام المنصور بالاصلاح العسكري.

۱۸۱ (۳۷۱) غزوة المنصور ضد ليون Léon والاستيلاء على سيانقــاس Simaneas

٩٨٥ (٣٧٤) غزوة المنصور ضد كاتالونيا والاستيلاء على برشاونة .

Léon وليون Caïmbre وليون مدينة كوغبر Caïmbre وليون AAA وزامورا Zamora .

۹۵۲ (۳٤٥) بناء جامع طورطوزة الكبير . سفارة قرطبية الى نافار .

٠٥٨ (٣٤٨) تمين الواجهة الشمالية في جامع قرطبة الكبير .

٣٥٠ - ٩٦١ (٣٥٠ - ٣٥٠) توسيع جامع قرطبة الكبير من قِبل الحكم الثاني .

٩٦٦ (٥٥٥) وفاة القاضي منذر بن سعيد البلوطي .

من Banos de la Encina بناء حصن بانيوس دي لا آنسينا بناء حصن بانيوس . قبل الحكم الثاني .

**۱۷۰** وفاة حسدی بن شاروط .

٩٧٢ (٣٦٢) سفارة بيزنطية في قرطبة .

٩٧٣ (٢٦٢) وفاة الشاعر ابن هانيء .

٩٧٧ (٣٦٧) وفاة الراوي بن القوطية .

٩٧٨ (٣٦٨) تأسيس المقر الاميري في المدينة الزاهرة قرب قرطبة .

٩٨٧ – ٩٨٨ (٣٧٧) توسيع جامع قرطبة الكبير من قبل المنصور . مولد المؤرخ ابن حيان .

٩٨٩ (٣٧٨) وفاة الشاعر ابن هانيء .

٩٩٤ (٣٨٤) مولد ابن حزم في قرطبة .

٩٩٧ (٣٨٧) غزوة المنصور ضد غاليسيا . الاستيلاء على سان جاك دي كومبوستيل . انكسار زيري بن عطية في مراكش امام الامويين .

٩٩٩ وفياة ملك ليون Léon برمودو الثاني وارتقاء الفونس الخامس .

١٠٠٢ (٣٩١ – ٣٩١) غزوة المنصور ضد قشتالة .

وفاة المنصور في المديناشلي Médinaceli .

وصاية عبد المالك المظفر .

١٠٠٣ (٣٩٣) غزوة ضد كاتالوندا .

١٠٠٥ (٣٩٥) غزوة ضد غاليسيا .

۱۰۰۳ (۳۹۳) غزوة ضد بامبيلون Pampelune .

١٠٠٧ (٣٩٧) غزوة ضد قشتالة وانتصار كلونيا .

عبد الملك يلقب نفسه بالمظفس .

٣٩٩ (٣٩٩) وفاة المظفر . وصاية عبد الرحمن سانشويلو . تنسازل هشام الثاني . ارتقاء محمد المهدي . المناداة بسلمان المستعين . وفاة محمد المهدي .

١٠١٠ (٤٠٠) عودة هشام الثاني الى الحكم .

١٠١١ (٤٠١) تأسيس امارة فالنسيا ..

١٠١٦ (٤٠٦) - ٤٠٠) استيلاء علي بن حمود على قرطبة . غزوة مجاهد ضد سردينيا . وفاة سليان المستعين . وفاة علي بن حمود وارتقاء القاسم بن حمود .

١٠٠٥ (٣٩٥) اقسامة الخطبة باسم هشام الثساني في جامع القروبين Karawyin

١٠٠٨ (٣٩٩) نهب المدينة الزاهرة .

١٠١٠ (٤٠١) طاءون في اسبانيا .

تدمير قصر الرصافة في قرطبة .

١٠١٢ – ١٠١٣ (٤٠٣) وفاة الشاعر الرمادي وعالِم السير ابن الفرجي.

١٠١٨ (٤٠٨) ارتقاء عبد الرحمن الرابع المرتضى .

وفاة الكونت سانشو غارسيا .

بدء الحلات الصلبية البورغونية ضد اسبانيا المسامة .

١٠٢١ (٤١٢) ارتقاء يحيى بن علي بن حمود في قرطبة ..

١٠٢٣ (٤١٤) ارتقاء عبد الرحن الخامس المستظهر . ارتقاء محمد الثالث المستكفى .

وفاة اسماعيل بن عبّاد .

١٠٢٧ (٤١٨) ارتقاء هشام الثالث المعتد .

١٠٢٨ (٤١٩) وفاة العبد خيران في ألمريا .

وفحاة ملك ليون الفونس الخامس وارتقاء ابنه برمودو Bermudo

١٠٣٠ (٤٢٠) سقوط الأسرة الأموية في اسبانيا نهائياً .

عودة زاوي بن زيري Zawi ibn Ziri الى افريقية .

١٠٣٥ وفاة سانشو الكبير وارتقاء فرديناند الاول.

١٠٣٧ وفاة ملك ليون ببرمودو الثالث في معركة تامارون.

١٠٣٨ (٤٢٩) وفاة العبد زهنير في ألمريا .

وفاة عباس بن زيري وارتقاء باديس في غرناطه .

١٠٤١ (٣٣٣) وفاة القاضي محمد بن عباد وارتقاء المعتضد في اشبيليه .

١٠٤٣ (٣٥٤) وفاة ابو الحزم بن جوهر وارتقاء ابو الوليد بن جوهر في قرطمة .

٤٣٦) ١٠٤٤ وفاة مجاهد من دينيا Dénia .

المار (١١٨) وهو التاريخ المقدر لتأليف ابن حزم كتابه طوق الحمامة في مدينة ياتيفيا Jativa .

وفاة ابن برد الاكبر في سرقسطه .

١٠٣٠ (٤٢١) وفاة الشاعر ابن دراج القسطلي .

اعادة بناء اسوار باداجوز Badagoz .

١٠٣٤ (٢٦٦) وفاة ابو عامر بن شهيد .

ه ١٠٤٥(٤٣٧) وفـــاة عبد الله بن الافطس في باداجوز وارتقاء المظفر مولد السيد .

١٠٥٣ (٤٤٥) حملة فرديناند الاول ضد مملكة طليطله .

. an - Nagharlla اليهودي ابن عرناطه اليهودي ابن

١٠٥٧(٤٤٩) باديس يضم المملكة الجودية في مالاقا .

حملة فريديناند الاول ضد مملكة باداجوز . الاستيلاء على مدينتي فيسيو Visou ولاميغو Lamego .

١٠٥٨ (٥٥٠) ضم امارة روندا لمملكة اشبيلية .

Caimbre على كوغبرة ١٠٦٧ (١٥٦ استيلاء فرديناند الاول على كوغبرة النورماند الافرنسيين على بارباسترو.

١٠٦٥ (٤٥٧) استرداد بارباسترو من قبل ابن هود .

وفاة فرديناند الاول ملك قشتالة وليون واقتسام دولتيه.

١٠٦٦ (٤٥٩) حركة لاضطهاد اليهود في غرناطة .

١٠٦٧ (٥٩١ – ٤٦٠) استيلاء يرسف بن تاشفين على فاس.

١٠٦٨ (٤٦١) وفاة المعتضد . ارتقاء المعتمد . استيلاء العباديين على قرطبة .

١٠٧٢ مقتل سانشو الثاني في زامورا Zamora بعد ان تغلب على الفونس السادس في غولبيجيرا Galpejera . خلفه الفونس

السادس الذي كان في المنفى في بلاط طليطلة المسلم.

١٠٧٤ زواج السيد وشيمين ١٠٧٤

١٠٧٥ (٤٦٧) وفاة المأمون صاحب طليطلة وباديس صاحب غرناطة .

١٠٥٢ – ١٠٥٣ (٤٤٤) وفاة ابو عمرو الداني في دينيا.

١٠٥٣ (٤٤٥) وقاة ابن برد الاصفر في الميريا .

١٠٥٨ (٥٠٠) مولد ابن خفاجة في الثيرا Alcira .

۱۰۹۲ (٤٥٤) تأسيس مراكش.

١٠٦٣ – ٢٠١٤ (٢٥١) وفأة ابن حزم.

نقل رفات القديس إيزيدور من اشبيلية الى ليون .

١٠٦٦ (٨٥٤) وفاة اللنوي ابن صيدح .

١٠٦٧ (١٥٩) وفاة الشاعر ابو اسحق الالبيري .

- ١٠٧٠ (٢٦٢ ٤٦٢) وفاة سميد الطليطلي والشاعر ابن زيدون.
  - ١٠٧٦ (١٦٩) وفاة المؤرخ ابن حيان .
    - ١٠٨١ نفي السيد .
  - ١٠٨٢ (٢٥٥) وفاة المستعين بن هود.
    - ١٠٨٤ (٤٧٧) مولك على بن يوسف.
  - ١٠٨٥ (٤٧٨) استيلاء الفونس السادس على طليطة.
  - ١٠٨٦ (٤٧٩) انتصار المسلمين في الزلاقة Sagrajas .
    - ١٠٨٨ (٤٨١) عودة يوسف بن تاشفين الى اسبانيا .
      - ۱۰۸۹ (۲۸۲) حصار آليدو Aledo .
- ١٠٩٠ (٤٨٣) عبور يوسف بن تاشفين للمرة الثالثة . خلع عبد الله صاحب غرناطة .
  - ١٠٩١ (٤٨٤) استيلاء المرابطين على اشبيلية .
  - نفي المعتمد الى مراكش. وفاة المعتصم صاحب المريا.
- ١٠٩٢ (٤٨٥) مقتل الخضير بن ذي النون في فالانسيا . اسبانيا المسلمة تصبح من ممتلكات المرابطين .
- ١٠٩٤ (٤٨٧) استيلاء السيد على فالإنسيا . اعدام ابن جمَّاف Djahhaf .
  - ١٠٩٩ (٩٩٢) وفاة السيد في فالانسيا .
  - ١١٠٢ (٤٩٥) استيلاء قائد المرابطين مزدالي على فالانسيا.
    - ١١٠٤ ارتقاء الفونس الاول عرش ارغونا.
      - ١١٠٦ (٠٠٠) وفاة يوسف بن تاشفين .
  - . ۱۱۰۸ (۵۰۰) معركة اوكلس Uclès ووفاة سانشو ابن الملك البكر . وفاة المستمين بن هود صاحب سرقسطة .
  - ١١٠٩ (٥٠٢) وفاة الفونس السادس . ارتقاء الملكة أور اقة Urraca .

- ١١٠٩ (٥٠٣) استيلاء المرابطين على طلافير Talavera
- ١٠٧٨ (٤٧١) قدوم الشاعر الصقلي ابن حمديس الى اسبانيا.
  - ١٠٨٠ (٤٧٣) بناء الالجافيريا Aljaforia في سرقسطه .
  - ١٠٨١ (٤٧٤) وفاة الفقيه ابو الوليد الباجي في المريا .
    - ١٠٨٣ (٤٧٦) وفاة اللغوي الاعلم من سانتاماريا .
      - ١٠٨٤ (٤٧٧) اعدام الوزير الشاعر ابن عمار.
        - ١٠٩١ (٤٨٤) وفاة الشاعرة ولادة .
        - ١٠٩٣ (٤٨٦) وفاة الفقيه ابن سهل.
  - ١٠٩٤ (٤٨٧) وفاة عالم الجغرافيا ابو عبيد البكري.
- ٥٩٥ (٤٨٨) مولد ان قزمان . وفاة المعتمد في Aghmat .
  - ۱۱۰۲ (۰۰۰) وفاة الزهراوي ( Abulcacis ) .
- ١١١١ (٥٠٤) استيلاء المرابطين على : سانتاريم ، باداجوز ، بورتو ، ايغورا لمشبونة .
  - ١١١٨ (٥١٢) استيلاء الفونس المحارب على سرقسطه .
    - ۱۱۲۰ (۱۱۶ه) معركة كوتاندا Cutanda .
- ١١٢١ (٥١٥) عصيان المهدي بن تمارة في مراكش. بداية حركة الموحدين.
  - ١١٢٦ تتويج الفونس السابع في ليون.
  - ١١٣٠ (٢٤) وفاة المهدي والمناداة بعبد الله المؤمن .
    - ، Fraga في انتصار المسلمين في ١١٣٤

وفاة الفونس الثالث صاحب ارغونا.

١١٣٥ استقلال البرتغال ٠

١١٤٣ (٥٣٧) وفاة علي بن يوسف.

١١٤٥ – ١١٤٥ (٥٣٩) نهاية حكم المرابطين في اسبانيا . عصر الطوائف الثاني . ثورة اسلامية في الغارف Algarve .

وفاة تاشفين في اوران Oran .

١١٤٦ (١٤٢) المناداة بابن ماردانيش في فالانسيا.

استيلاء المسيحيين على ألمريا:

١١١٣ (٥٠٧) وفاة الشاعر ان اللمانة .

١١٢٥ (٥١٩) وفاة ابن زهر .

المسمى « اعمى توديل l'Aveugle de Tudèle . وفاة الكاتب المسمى « اعمى توديل الكاتب المسمى « المسمى الطرطوشي في الاسكندرية .

۱۱۳٤ (۲۹ه) مولد ابن ميمون Maïmonide في قرطبة.

۱۱۲۸ (۵۳۳) وفاة ابن خفاجة وابن باجه Avempace .

۱۱٤٤ (٥٣٩) وفاة ريفرتر Reverter قائد جيوش المرابطين المسيحية.

١١٤٥ (٠٤٥) تدمير سور قادش من قبل ان ممون.

١١٤٧ (٥٤٢) وفاة الاديب ابن بستام.

١١٤٨ (٥٤٣) وفاة يحيى نن غانية .

استيلاء ريمون بيرانجيه الرابع على فراغا ، ليريدا ، طورطوزا ١٠٥٧ (٥٥٢) استيلاء الموحدين على غرناطة .

- ١١٠٩ (٥٠٣) استيلاء المرابطين على طلافير Talavera
- ١٠٧٨ (٤٧١) قدوم الشاعر الصقلي ابن حمديس الى اسبانيا.
  - ١٠٨٠ (٤٧٣) بناء الالجافيريا Aljaseria في سرقسطه.
  - ١٠٨١ (٤٧٤) وفاة الفقيه ابو الوليد الباجي في المريا.
    - ١٠٨٣ (٤٧٦) وفاة اللغوي الاعلم من سانتاماريا .
      - ١٠٨٤ (٤٧٧) اعدام الوزير الشاعر ابن عمار.
        - ١٠٩١ (٨٤) وفاة الشاعرة ولَّادة .
        - ١٠٩٣ (٤٨٦) وفاة الفقيه ابن سهل.
  - ١٠٩٤ (٤٨٧) وفاة عالم الجغرافيا ابو عبيد البكري .
- ١٠٩٥ (٤٨٨) مولد ان قزمان . وفاة المتمد في Aghmat .
  - ۱۱۰٦ (۰۰۰) وفاة الزهراوي ( Abulcacis ) .
- ١١١١ (٥٠٤) استيلاء المرابطين على: سانتاريم ، باداجوز ، بورتو ، ايغورا ليشبونة .
  - ١١١٨ (٥١٢) استيلاء الفونس المحارب على سرقسطه .
    - ۱۱۲۰ (۱۱۶) معركة كوتاندا Cutanda .
- ١١٢١ (٥١٥) عصيان المهدي بن تمارة في مراكش . بداية حركة الموحدين .
  - ١١٢٦ تتويج الفونس السابع في ليون.
  - ١١٣٠ (٢٤) وفاة المهدي والمناداة بعبد الله المؤمن.
    - ، Fraga ف انتصار المسلمين في ١١٣٤

وفاة الفونس الثالث صاحب ارغونا.

١١٣٥ استقلال البرتغال ٠

١١٤٣ (٥٣٧) وفاة علي بن يوسن.

١١٤٥ - ١١٤٥ (٣٩٥) نهاية حكم المرابطين في اسبانيا . عصر الطوائف الثاني .

ثورة اسلامية في الغارف Algarve.

وفاة تاشفين في اوران Oran .

١١٤٦ (١٤٢) المناداة بابن ماردانيش في فالانسيا.

استيلاء المسيحيين على ألمريا:

١١١٣ (٥٠٧) وفاة الشاعر ان اللبانة .

١١٢٥ (١٩٥) وفاة ابن زهر .

المسمى « اعمى توديل l'Aveugle de Tudèle . وفاة الكاتب المسمى « اعمى توديل الكاتب الله الكاتب الطرطوشي في الاسكندرية .

۱۱۳٤ (۵۲۹) مولد ابن ميمون Marmonide في قرطبة.

۱۱۳۸ (۵۳۳) وفأة ان خفاجة وان باجه Avempace .

١١٤٤ (٥٣٩) وفاة ريفرتر Reverter قائد جيوش المرابطين المسيحية .

١١٤٥ (٥٤٠) تدمير سور قادش من قبل ان مممون.

١١٤٧ (٢٤٥) وَفَاةَ الاديبِ ابنِ بسُّامٍ.

١١٤٨ (٣٤٥) وفاة يحيى بن غانية .

استيلاء ريمون بيرانجيه الرابع على فراغا ، ليريدا ، طورطوزا ١٠٥٧ (٥٥٢) استيلاء الموحدين غلى غرناطة . استرداد الموحدين الألمريا .

١١٥٨ . . . ارتقاء الفونس الثامن

١١٦٣ (٥٥٨) وفاة عبد المؤمن وارتقاء ابو يتقوب يوشف .

١١٧١ (٩٦٥) وفاة ابن ماردانيش .

۱۱۸۱ – ۱۱۸۵ (۵۸۰) غزوة ضد سانتاريج ووفاة ابو يعقوب وارتقياء. ابو يوسف يعقوب .

١١٩٥ (٥٩١) انتضار المسلمين في العرق ألاركوش ( Alarcos ) ...

١١٩٨ – ١١٩٩ (٥٦٥) وفاة ابو يوسف وارتقاء محيد الناصر .

١٢١٢ (٦٠٩) انكسار المسلمين في لاس نافاس دي طولوزة (العقاب) .

إسقوط عبيدة وبايزيد .

١١٥٠ ( نحو ) نظم قصيدة السيد .

١١٥٤ (٥٤٨) عالم الجغرافيا الادريسي ينهي عُمَل به

١١٥٩ (٥٥٥) وفاة الشاعر ان قرمان.

١١٦١ (٥٥٦) تأسيس عبد المؤمن لمدينة حبل طارق .

۱۱۲۲(۷۵۵) وفاة عبد المالك بن زهر Avenzaar .

١١٦٥ (٥٦٠) مولد المتصوف محيي الدين بن العربي في مرسيا .

١١٧١ (٥٦٧) ابو يعقوب يبني جامعاً كبيراً وحسراً على الوادي الكبير في اشبيليه .

Malaga وفاة الشاعر الرصافي في مالاقا Malaga

: ١١٧٩ (٥٧٥) وفاة إبن خير .

Basgkuwal وفاة ابن باشكول Basgkuwal :

١١٨٥(٧١) وفاة الفيلسوف ابن طفيل في مراكش .

الم أسف أزة العرب في الاندلس دوي ال

١٢٥٨ (٦٥٦) ارتقاء ابو يوسف يعتوب في مراكش .

١١٩٨ – ١١٩٩ (٥٩٥) مولد ابن الابار . وفاة ابن رشد في مراكش .

۱۲۰٤ وفاة ابن ميمون Maïmonide .

١٢٠٧ (٦٠٤) وفاة الاديب ابن الشيخ البلاوي .

١٢١٤ وفاة الفونس الثامن. .

١٢١٧ ارتقاء فرديناند الثالث صاحب قشتالة .

(٦٢٥) ثورة ابن هود في الشرق الاسباني .

• Majorque الاستيلاء على ماجورك (٦٢٨-٦٢٧) ١٣٣٠

نهاية حكم الموحدين في اسبانيا .

١٢٣١ (٦٢٨ – ٦٢٨) سقوط ميريده وباداجوز .

وفاة ادريس المأمون من الموحدين.

المناداة بمحمد الاول الغالب.

١٢٣٦ (٦٣٣) استيلاء فرديناند الثالث على قرطبة .

١٢٣٧ (٦٣٤ – ٦٣٤) انكسار المسلمين في آنيشة Anisha . استيلاء محمد الاول على غرناطه .

١٢٣٨ (٦٣٦) استيلاء جاييم الاول Jaime صاحب ارغونا على فالانسيا .

١٢٤٣ (٦٤٠) استيلاء جاييم الاول صاحب ارغونا على مرسيا .

، Javita على Jaén والاستيلاء على ٦٤٤) ١٢٤٦

١٢٤٨ (٦٤٥ – ٦٤٦) الشرق الاسباني يقع كله في ايدي المسيحيين.

استيلاء فرديناند الثالث على اشبيليه .

وفاة فرديناند الثالث وارتقاء الفونس العاشر.

۱۲۱٤ (۱۱۰) مولد ابن سعيد في ۱۲۱٤ (۱۲۰) مولد

تأسيس الفونس الثامن لجامعة بالانسيا Palancia

· Salamanque ثأسيس الفونس التاسع لجامعة سالامنك

٦١٢ (٦١٤) وفاة ابن جبير في الاسكندرية .

. Tour de l'Or في اشبيلة برج الذهب ۲۰۱۲ (۲۱۷) تشبيد برج الذهب

. Jarez في مدينة ash - Sharishi وفاة الاديب الشريشي

١٢٢٧ (٦٢٤) جدب في اسبانيا .

ه الاديب ابن ديمياء (٦٣٣) وفاة الاديب ابن ديمياء

١٢٤٠ (٦٣٨) وفاة محبي الدين بن العربي في دمشق ..

١٢٤٨ (٦٤٦) وفاة عالم النبات ابن البيطار في دمشق .

١٢٥١ (٦٤٩) وفاة الشاعر ابن سهل .

ترجمة كليلة ودمنة الى اللغة القشتالية .

١٢٥٧ (١٥٥) استيلاء الفونس العاشر على نيبلا Niébla .

١٢٦٢ (٦٦٠) استيلاء الفونس العاشر على قادش Cadiz .

۱۲۷۰ (۱۲۸ مان لریس Saint Louis اثناء حصار تونس .

٦٧١(٦٧٣) وفاة محمد الاول النصري .

١٢٧٦ وفاة Jaim الأول عامل ارغونا .

١٢٨٤ (٢٨٢) وفاة الفونس العاشر في قشتالة .

۱۲۸۷ (۲۸۶) الاستيلاء على مينورك Minorque .

۱۲۹۲(۲۸۹) استیلاء سانشو الرابع علی Tarifa .

١٣١٩ ارتقاء الفونس الحادي عشر على العرش.

١٣١٤ (٧١٣) ارتقاء النصري اسماعيل الاول.

١٣١٩ (٧١٩) انتصار المسلمين في اليكوم Alicum .

١٣٣١ (٧٣٢) ارتقاء ابو الحسن في فاس .

١٢٥٤ تأسيس الفونس العاشر في اشبيليه لمدرسة التعليم اللاتينية والعربية .

١٢٥٥ (٦٥٣) وفاة المؤرخ الاسباني البيَّاسي في تونس .

١٢٥٨ (٢٥٦) ( تقريباً ) وفاة الاديب ابن عميره .

١٢٦٠ (٨٥٨) التنفيذ بابن الابَّار في تونس .

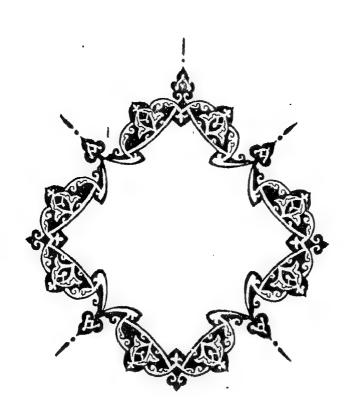
٦٦٨ (٦٦٨) وفاة الصوفي ابن صابعين الاسباني في مكة .

١٢٧٤(٦٧٢) وفاة النحوي الاسباني ابن مالك في دمشق .

ر ۱۲۷۹ (۲۷۵) تشييد فياس الجديدة ومقر اقسامة البونية بالقرب من الجزيره .

١٣٠٠ تأسيس Jaim الثاني لجامعة لاريدا Lérida في ارغونا . ١٣٠٨ (٧٠٦) تأليف المؤرخ الدهري للبيان المغرب . ١٣٠٨ (٧٠٨) وفاة ابن الزبير في غرناطه . ١٨٥١ (٧١٣) مولد ابن الخطيب في عرناطه . ١٨٥١ (٧١٣) مولد ابن الخطيب في Ramon Lull . وفاة رامون لول ١٣٩١ (٧٣٢) مولد عبد الرحمن بن خلدون في تونس .

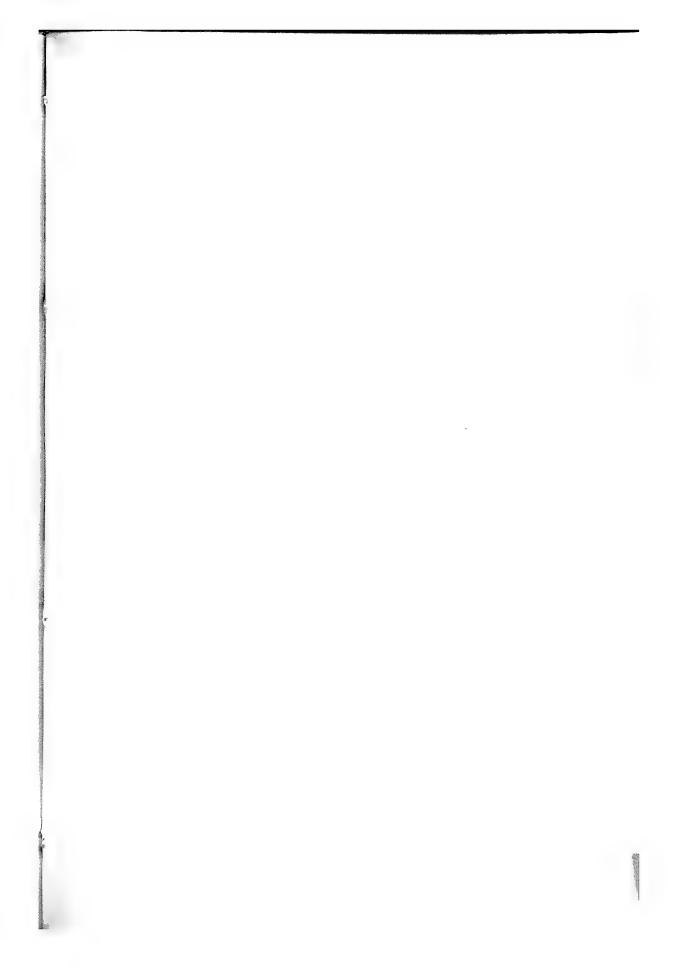


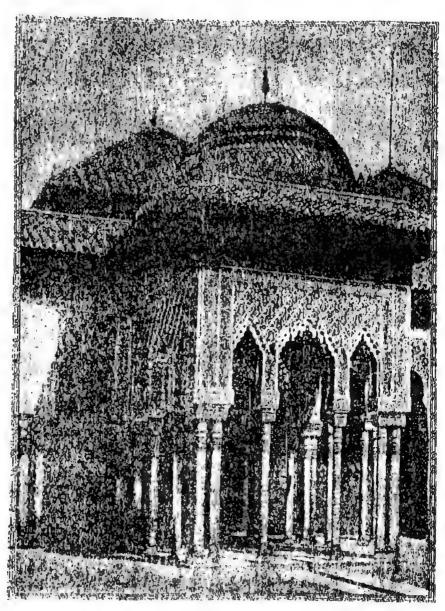


The section of the section of the

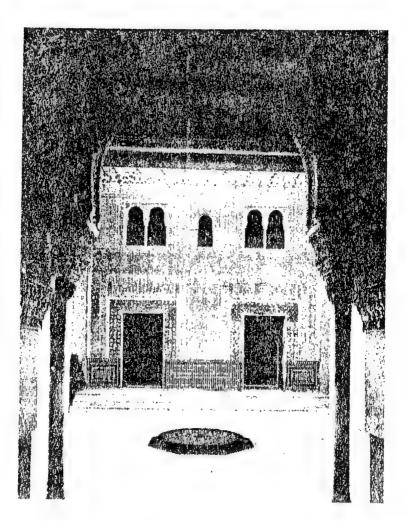
## الفصل أكخامس

آثاراًندُلسية

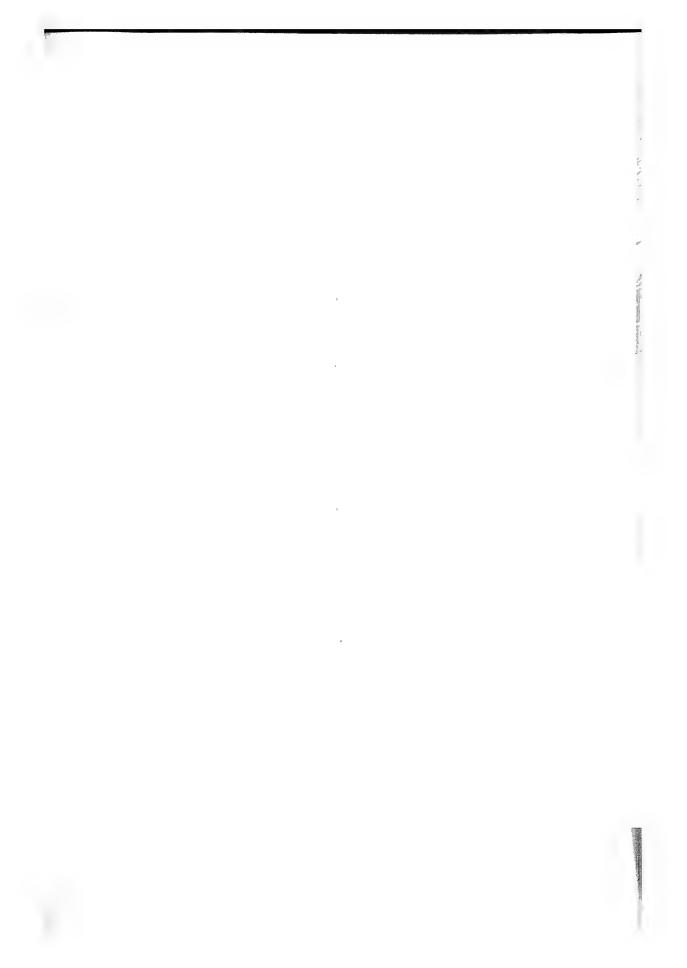


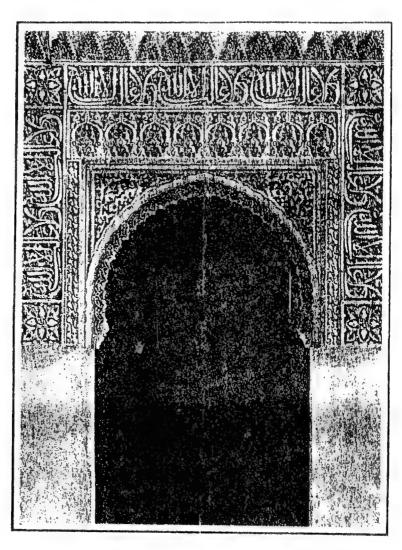


قصراك مراء في غناطة



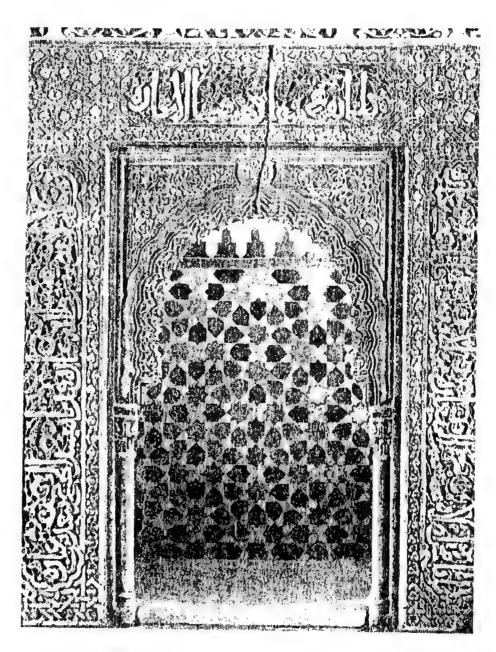
أحد قصورغ ناطة





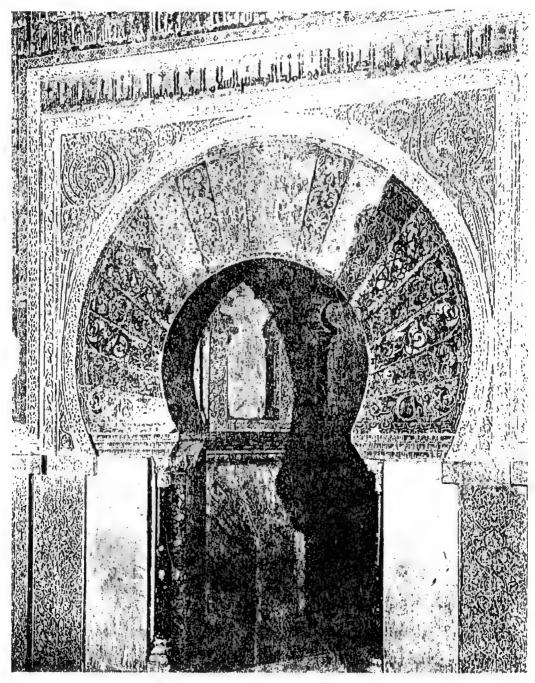
بهوالسفراء قعارش





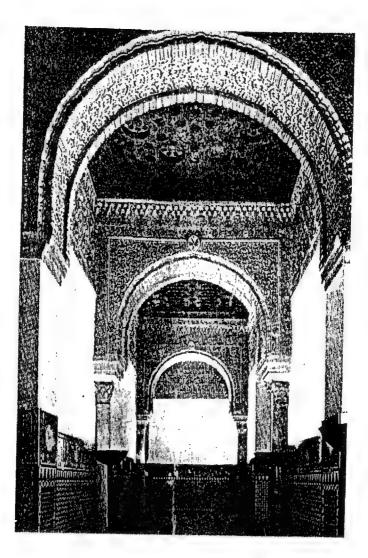
مشكاة لرضع الإباريق في قاعة البركة



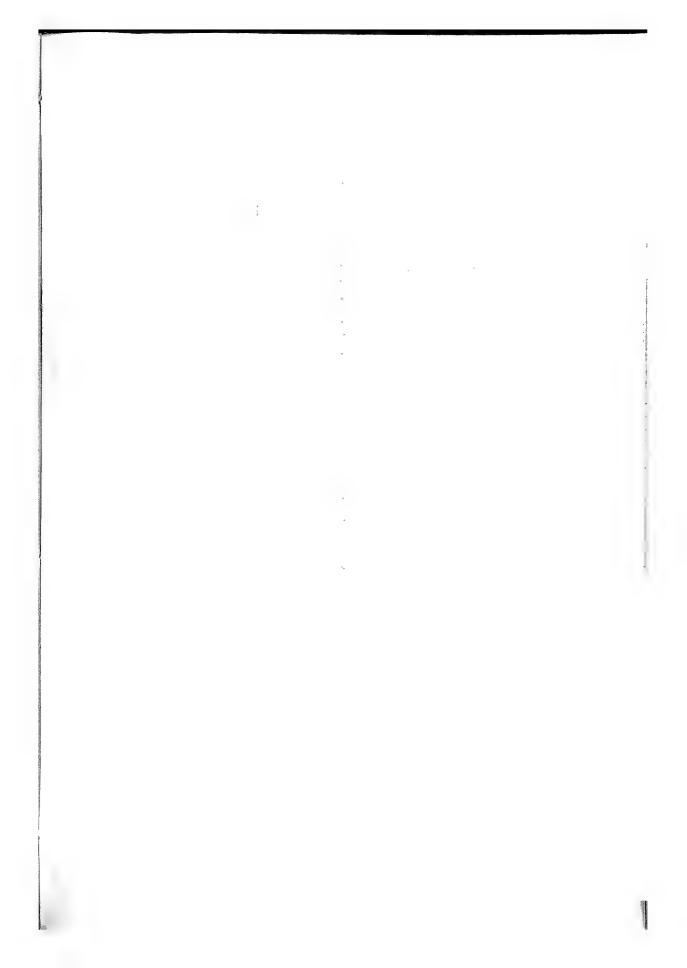


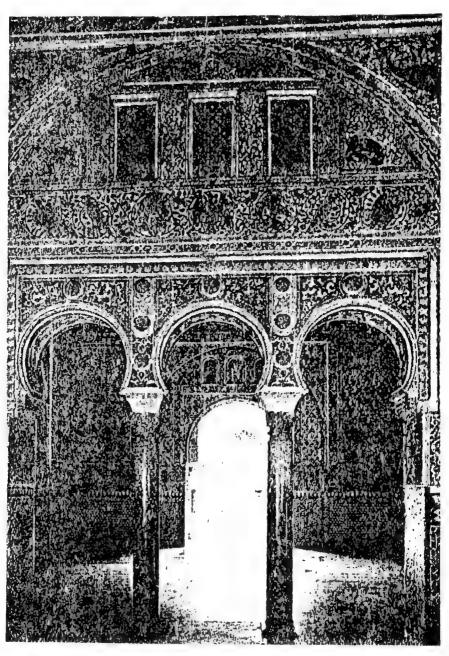
حضارة العرب في الاندلس ١٠٠٠

عراب جامع قرطبة

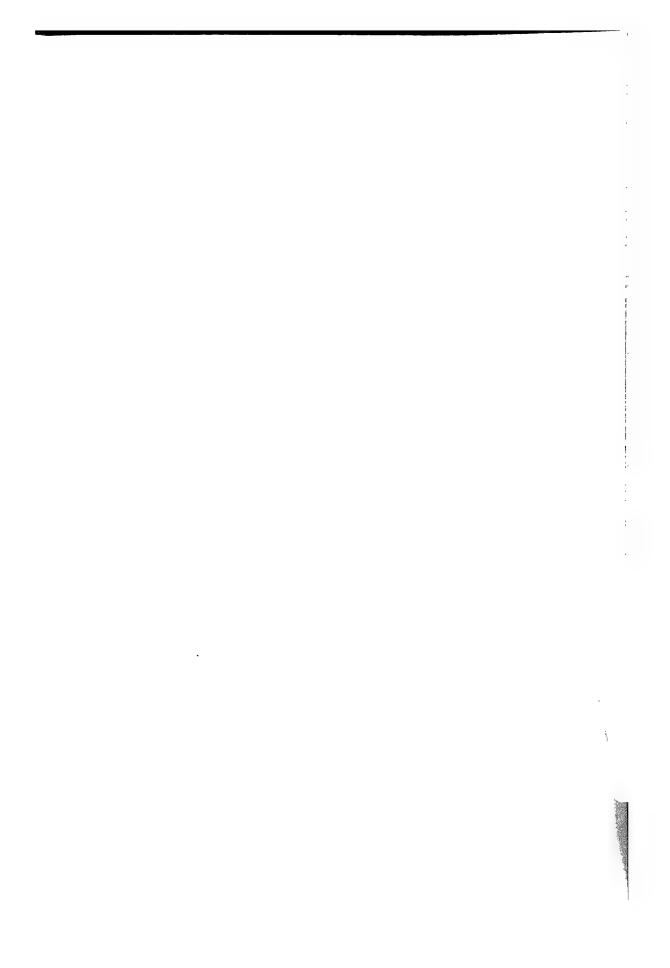


الأقواس والاعمدة داخلأ حدالقصور





قاعة السفراء



## الفصل السّادين

قائمه مجمله بالمؤلفات النفدية



-

;

- ۱۸۲۱ ر. دوزي ، تاريخ مسلمي اسبانيا حتى فتح الاندلس من قبل المرابطين ( ۷۱۱ ۷۱۱ ) ٤ مجلدات طبعة جديدة نقحها وأعاد طبعها ليفي بروفنسال ، ليد ۱۹۳۲ وهو مؤلف ما يزال كلاسيكيا .
- ١٨٨١ ر. دوزي ، تحريات في تاريخ اسبانيا وآدابها إبان العصور الوسطى، ثالث طبعة ، ليد باريز ، مجلدان ١٨٨١ . يحتوي على عدة ذكريات هامة ، عن السيد ، عن النورمانديين في اسبانيا الخ .
- ۱۸۹۷ ج. سيمونيه ، تاريخ المغـاربة في اسبانيا ، مدريد ۱۸۹۷ ، ۱۸۹۷ ج. ۱۹۰۳ معالجة جبارة لموضوع واحد إلا أنها مغرضة في اغلب الاحدان .
- ۱۹۰۳ ف. كوديرا ، دراسات نقدية في تاريخ العرب الاسبات ، ثلاث مجلدات ، سرقسطه ومدريد ۱۹۰۳ ۱۹۱۷ . دراسات تفصيلية رصينة ، غنية بالوثائق والمستندات .

Hamenaje à D. Francisco codera en su jubilacion

19.8

del profesorado Estudios de erudicion oriental.

سرقسطه ١٩٠٤ . مجموعة تحتوي على عدة ذكريات هامة تتعلق بالحضارة الاسبانية - الأسلامية .

١٩١١ ر. ألتأميرا ، تاريخ اسهانيا والحضارة الاسبانية ، ٤ مجلدات برشلونة ١٩١١ .

Th. W. Arnold, Preaching of islam الروك ، ارنوك ، ارن

طبعة ثانية ، لندن ١٩١٣ . مؤلف اساسي .

M. Gomez Moreno, Iglesias mozarabis السيد غومس مورينو Arte espanol de los siglos IX - XI

مدرید ۱۹۱۹

عمل مدهش عن الآثار الاسلامية في الفن المغربي .

١٩٢٠ أ. بلديستيروس ، تاريخ اسبانيا وتأثيره في التاريخ العمام ، جزء ثاني . وثالث ، برشلونة ١٩٢٠ – ١٩٢٢ ، مؤلف كامل جداً ، مع قائمة مفصلة بالمؤلفات .

The Western Caliphate, dans الجالد الثالث ، كونزالس بالانثياء The Cambridge Medieval History المجلد الثالث ، كمبردج

١٩٢٣ أ. بُو اصدّو تاد ٤ ما هو جديد في اغنية رولاند ، باريز ١٩٢٣ ،

مؤلف قابل للمناقشة إلا أنه يحتوي على وجهات نظر جديدة ومفدة .

1970 أ. كونزالس بالانثيا ، تاريخ اسبانيا المسلمة . اطلع على الطبعة الثالثة (برشاونة ١٩٣٧) لهذا المختصر البسيط إ. لامبيرت ، طليطله ، باريز . مجموعة ، مدن الفن الشهيرة ، ١٩٢٥ . احياء بديم لطليطله المسلمة .

Estampas de la vida en Leon durante el كل سانشيز ألبورنوز المجاه ١٩٢٦ كل مدريد ١٩٢٦ ، دراسة تاريخية على نحو روائي غير انها مفيدة جداً . ح. مارسية ، مختصر الفن الاسلامي . فن البناء . تونس ، الجزائر ، مراكش ، اسبانيا ، صقلية ، مجلدان ، باريس الجزائر ، مؤلف أساسي في تاريخ الفن الاسباني – المغربي ، مع موجزات تاريخية على تمام الروعة .

١٩٢٧ السيد آسين بالاثيوس

Abenhàzem de cordoba y su Historia de las ideas religiosas

المجلد الاول، مدريد ١٩٢٧ . مقالة ممتازة عن ابن حزم .
إ. مال ، فن وفنانون في العصور الوسطى ، باريس ١٩٢٧ . مع نظرات مشرقة عن اصول الفن الروماني .

197۸ ر. ألت اميرا " تاريخ الحضارة الاسبانية ، مدريد ١٩٢٨ ، مختصر جداً أ. كونزالس بالانثيا ، تاريخ الآداب العربية – الاسبانية ، برشلونة ١٩٢٨ ، مختصر جيد ، إلا أن أسماء الاعلام للأسف ترد فيه كا وردت في النقل الاسباني التقليدي عن العربية .

La carte literaria de Alhaquem II en Cordoba, السيد م. آنتونيا ١٩٢٩ San Lorenzo de El-escorial, 1929.

وهو كتاب مفيد جداً .

ه. ج. فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، لندن ، ١٩٢٩ ، من احسن الاختصاصيين الحاليين في الموضوع .

ر. منييديز بيدال La Espana del Cid, مجلدان ، مدريد ١٩٢٩ ، اثر محكم على الرغم من أنه ينحو منحى «السيد».

San Lorenzo de السيد م. آنتونيا ؛ اشبيلية وآثارها العربية العربية من تاريخ ابن الصاحب ١٩٣٠ أعبمة وترجمة مقاطع من تاريخ ابن الصاحب as-Salat

إي. غارثيا غومس ، قصائد عربية – اندلسية – Poémas arabigo إي. غارثيا غومس ، قصائد مريد ، ١٩٣٠ ، اختيار موفق جداً للقصائد الاسبانية – العربية مع مقدمة مفيدة .

ل. هالفن ؛ البرابرة ؛ باريس ١٩٣٠ . من الدرجة الأولى .

۱۹۳۱ السيد آسين بالاثيوس El islam cristianizado مدريد ۱۹۳۱. هو أهم من عنوانه .

أ. غونزالس بالانثيا، الاسلام والغرب، مدريد ١٩٣١ ، جدول مفيد
 بأهم التأثيرات .

إ. ليفي بروفنسال ، كتابات عربية اسبانية ، باريز - ليد ١٩٣١. أ. ر . نيكل ، A book containing the risal A known as أ . ر . نيكل ، The Dove's Neck - ring about love and lovers , باريس ١٩٣١ . ترجمــة لطوق الحمامة لابن حزم مع دراسة تمهيدية ، تنتهي بنتائج قابلة للمناقشة .

۱۹۳۲ ل . هالفن ، نهضة اوروبا ، باريز ۱۹۳۲ ، متاز .

إ. ليفي بروفنسال ، اسبانيا المسلمة في القرن العـاشر ، نظم وحياة اجتماعية ، باريز ١٩٣٢ .

كل. سانشز ألبورنوز ، اسبانيا والاسلام ، ترجمة ب. غينارد في المجلة التاريخية ، مجلد CLXIX ، باريز ، ١٩٣٢ : بعض من الصفحات يساوي مجلداً ، ظهرت في البداية في الاسبانية تحت عنوان : اسبانيا والاسلام Espana y El Islam في مجلة الغرب عدد LXX ، مدريد ١٩٢٩ .

ه. تيسراسيه ، الفن الاسباني - المغربي من منابعه في القرن الثالث عشر ، باريز ١٩٣٢ . نص محكم ، وتبجيل عظيم .

Hespéris إي . لامبيرت ؛ الفن الاسباني والفن الروماني ؛ في مجلة Hespéris ، علم الإسباني والفن الروماني ؛ في مجلة XVII ، مقالة كثيرة الايحاء .

أ. ر. نيكل El Cancionero de Aben Guzman على ألا يستفاد منه طبع وترجمة جزئية لديوان ابن Guzman على ألا يستفاد منه إلا مجدر شديد . انظر ج. س . كوكن في مجلة Hespéris مجلد XVI ص ١٦٥ – ١٦٩ .

١٩٣٤ ج. كالميت ، العالم الاقطاعي ، باريز ( ١٩٣٤ ) . معلومات ممتازة عن حالة المسائل الراهنة .

إ. غارسيا غومس ، Bagdad y las los reinos de Taifas, ناسيا غومس ، وغارسيا غومس ، Revista de occidente في مجلة الغرب ١٩٣٤ .

ر. غارثينا غومس ' Elagio del Islam espanol مدريد - غرناطه ' ۱۹۳۶ . ترجمة لرسالة As - sakundi عليها . ر. مينيند بدال Historia y epepeya ' مدريد ۱۹۳۶ مجموعة مقالات متعلقة بتاريخ العصور الوسطى السياسي والادبي .

حه . اورتیف غاسیّت Abenjaldun nos revela el secreto فی مجلد ثامن ، مدرید ۱۹۳۴ .

۱۹۳۵ ر. بلاشير ، كتاب ( مقولات الأمم » ، باريز ۱۹۳۵ . ترجمة لطبقات الأمم لسعيد الطليطلي . الاسلام والغرب في مجلة cahiers du Sud ، مارسيليا ، آب – ايلول ۱۹۳۵ ، مجموعة مقالات ذات قيم متفاوتة .

۱۹۳۲ ش. ديهل و ج. مارسيه العالم الشرقي من عام ٣٩٥ الى ١٠٨١ ( جزء ثالث من كتاب تاريخ العصور الوسطى من التاريخ العام لؤلفه كلوتز ) ، باريز ١٩٣٦ . يحتوي على فصول ممتمة عن اسبانيا المسلمة .

إ ، ليفي بروفنسال « مذكرات » عبــــد الله آخر مـــــلوك غرناطة .

Ziride ، مدريد - غرناطه ، ١٩٣٦ طبع وترجمة لنص هام جداً عن تاريخ العلاقات المسيحية - المسلمة في اواخر القرن الحادي عشر اكتشف في مكتبة جامع القيروان al-Karawiyin في فاس.

Revista ر. مينينديز بيدال ، الشعر العربي والشعر الاوروبي في مجلة Cubana كانون الثاني — آذار ، ١٩٣٧ . من المحتمل انه يصدر احكاماً قاطعة في موضوع مسألة جد معقدة . انظر ج. سيروت في المجلة الاسبانية ، جزء XXXIX ، ١٩٣٧ ، ص ٢٠٠ – ٤٣٢ .

ه. بيريز 'الشعر الانداسي ' في العربية الكلاسيكية في القرن الحادي عشر : بميزاته العامة وقيمته كمصدر ' باريز ١٩٣٧ ' مقالة مفصلة بتوسع ومنصفه الى حد بعيد ؟ إلا أنها قد لا تعطي لمؤثرات المشرق مكانها ونصيبها .

ف. لوت الغزوات البربرية البريز ١٩٣٧ . من بينها غزو اسبانيا من قبل العرب الغزوات قابلة للمناقشة في الغالب . التزود بالوثائق عن اسبانيا المسلمة في القرن عن اسبانيا المسلمة في القرن العاشر لصاحبه ليفي بروفنسال .

إ. ليفي بروفنسال السيد كما ورد في التاريخ، في المجلة التاريخيــة جزء CLXXX بازيز، ١٩٣٧ ص ٥٨ – ٧٤ . ١٩٣٨ الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الافرنسية ، ( مجلد رابع ومجلد اول من المتمم ) انتهت في ١٩٣٨ .

إ. ليفي بروفنسال ، دراسات في التاريخ الاسباني - الاسلامي .

إ. ليفي بروفنسال ، معلومات من اجل تاريخ اجتماعي واقتصادي .
 للغرب المسلم في القرون الوسطى (العصر الوسيط) .

الجلات

حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر

الاندلس

النشرة الاسبانية

بيزنطه

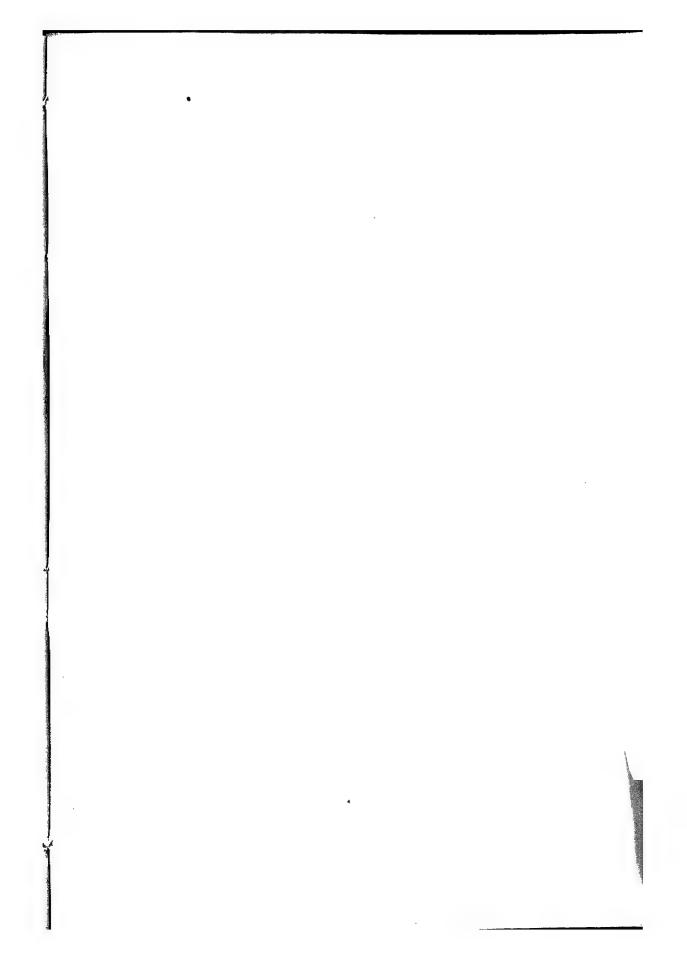
فكر

الجريدة الأسيوية

مجلة الغرب

الجلة الاسبانية

ملاحظات وحكولاشي لالكتب



## الفصل لأول

- (۱) ش. دیهل Ch. Diehl ، بیزنطة : عظمة وانحطاط ، باریس ، ۱۹۲۰ صفحة . .
- (٢) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر صفحة ٨ وما بعدها .
  - (٣) المصدر نفسه . صفحة ١٩ .
- (٤) انظر دراستي عن: تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطة في القرن التاسع في بيزانسيون Byzantion ، جزء XII بروكسل ١٩٣٧ ، صفحة ٨ – ٩ .
- (ه) السيد غودفروا ديمومبين Gaudefroy Demonibynes المؤسسات الاسلامية ، باريس ١٩٢٥ صفحة ١٢٥ ١٣٦ .
  - (٦) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن الساشر صفحة ١٥ ١٠٤٧

- (٧) انظر مقالتي عن Le Cid de l'histoire في مجلة تاريخية ، باريس . ١٩٣٧
- (٨) انظر مقالتي عن الفونس السادس والاستيلاء على طليطلة (١٠٨٥) في مجلة Hesperis جزء ١٩٣١ XII صفحة ٣٣ – ٤٩.
- (٩) انظر كتابي تأملات في دولة المرابطين في بداية القرن الثاني عشر في مجلد الاحتفال بانقضاء خمسين عاماً على تأسيس كلية الآداب في الجزائر . الجزائر . الجزائر ١٩٣٧ صفحة ٣٠٧ ٣٠٠ .
- (١٠) انظر ليفي بروفنسال في نص تاريخي جديــد: (المسند، لابن مرزوق ١٩٢٥ صفحة ٢.
- (١١) وعلى الخصوص تلك التي في Testour وقد أفرد لها السيد جورج مارسيه دراسة ما تزال تحت الطبع.
- (١٢) انظر ليفي بروفنسال في ، المراكشيون وماضيهم في مجلة الفن الحي ، باريس ١٩٣٠ صفحة ٨١٥ ٨١٦ .
  - (۱۳) غولد زيهر .
- (١٤) أنها موجودة في منتخبات من تاريخ العرب السياسي والأدبي في الأندلس للمقري ، وهي مجموعة منتخبات ثمينة جداً لأنها حفظت لنا كثيراً من الشذرات الختارة من مؤلفات عربية اسبانية مفقودة اليوم . ولا تستعمل الترجمة الانكليزية التي قام بها P. De Gayangos إلا بجذر شديد لأنها مليئة بالأخطاء .

(١٥) في منتخبات المقري نفسها . فقـــد ترجمت الى القشتالية من قبل السيد غارشيا غومس في رثاء الاسلام الاسباني ، مدريد - غرناطة السيد غارشيا غومس في رثاء الاسلام الاسباني ، مدريد - غرناطة لم دوني الفرنسية بقلم ا. لويا La « Risala » d'as - Sakundi في الفرنسية بقلم ا. لويا ١٩٣٦ - ١٨١ - ١٨١ - ١٨١ صفحة ١٩٣٣ - ١٨١ -





## الفصرات بي

- (١٦) انظر كتابي اسبانيا في القرن الماشر صفحة ٢٢ .
- G. Margais (۱۷) مختصر الفن الاسلامي جزء اول صفحة ٢٠٦.
- (۱۸) انظر هـ . بيريس النخـــلة في اسبانيا ، ملاحظات مسندة على النصوص العربية ، في مجموعة مقالات متفرقة غودوفروا ديمو مبينس النصوص العربية ، في مجموعة مقالات متفرقة غودوفروا ديمو مبينس النصوص العربية ، في مجموعة مقالات متفرقة عودوفروا ديمو مبينس النصوص العربية ، في مجموعة مقالات متفرقة عودوفروا ديمو مبينس
- (١٩) والى ذلك عزا دوزي اهمية كبرى في شبه الجزيرة الايبيرية في الجزء الاول من كتابه تاريخ المسلمين في اسبانيا .
- (٢٠) حول هذا النص ، الذي انوي نشره في المستقبل في سلسلة من الوثائق غير المنشورة من تاريخ الامويين في اسبانيا ، انظر كتابي تبادل السفارات صفحة ٤ .
- (٢١) على الاخص توسيعات الجامع الكبير في قرطبة وقد قدم لنا في ذلك علاقة جديدة كل الجدة السيد ايلي لامبيرت مستنداً على

وثائتى استطعت ان اقدمها له . ( تاريخ جامع قرطبة الكبير في القرنين الثامن والتاسع من النصوص غير المنشورة ، في حوليات معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب بالجزائر جزء ثاني ، باريس ١٩٣٦ صفحة ١٩٣٥ ) .

- (٢٢) لمحة عن زرياب الموسيقار موجودة في الموسوعة الاسلامية ، متمم صفحة ٢٨٥ ٢٨٦ بتوقيع H. G. Farmer
- (٢٣) نحن اليوم على اطلاع واسع حول تركيب هـــذا الطعام وصنعته بفضل طباعة مختصر عربي صغير في الموصل عام ١٩٣٤ من بداية القرن السابع (١٣) بعنوان « كتاب الطبيخ » . ولدينا فيا عـدا ذلك مختصران عن الطبخ العربي في الاندلس وهما غير مطبوعين ويبدو انها من عصر الموحدين .
- (۲٤) انظر A. Gonzalez Palencia الاسلام والغرب صفحـــة A. برا القري .
- (٢٥) وقد خصص ر. بلاشير دراسة لهذا الشاعر ، بعنوان : احـــد المهدين للثقافة العربية في القرن العــاشر : سعيد البغدادي ، في المهدين للثقافة العربية في القرن العــاشر : سعيد البغدادي ، في المهدين للثقافة العربية في القرن العــاشر : سعيد البغدادي ، في المهدين الثقافة العربية في القرن العــاشر : سعيد البغدادي ، في
- (٢٦) انظر كتابي اسبانيا الاسلامية في القرن العاشر صفحة ١٨٣ ١٨٨
- (٢٧) احمد زكي مبحث في العلاقات بين مصر واسبانيا اثنــاء الاحتلال الاسلامي في Homenage codera صفحة ١٤٨٥ ١٤٨٠ .

- (٢٨) انظر كتابي عن الخطوط العربية في اسبانيا صفحة ١١٩ ـ ١١٧٠.
- (۲۹) ليفي بروفنسال ، صحيح البخاري ، مصور نقلاً عن مخطوط لابن سعدى الذي قطن مرسيا عام ٤٩٢ هـ ( ١٠٩٩ م ). باريز
- (٣٠) ه. بيريس H. Pérès الشعر الأندلسي في العربية الكلاسيكية في القرن الحادي عشر : مظاهره العامة وقيمته كمستندات ، باريز ١٩٣٧.
- Hespéris ج. مارسيه G. Marçais الفن الاسلامي الاسباني في مجلة جرء (۳۱) جزء ۱۹۳۱ سفحة ۱۰۸ ۱۰۸.
- A. Gonzalez Palencia تاريخ الأدب العربي الاسباني صفحة A. Gonzalez Palencia انظر
  - (٣٣) ترجمة ر. بلاشير صفحة ١٢٥.
- (٣٤) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر صفحة ٢٣٣ ٢٣٤.
  - (٣٥) المصدر نفسه صفيحة ٢٣٤.
- (٣٦) انظر ليفي بروفنسال ، مخطوط من مكتبة الخليفة الحكم الثاني في جلة Hespéris جزء XVIII ، ١٩٨٤ صفحة ١٩٨٨ ٢٠٠٠ .
  - (٣٧) مقولات الأمم ترجمة ر. بلاشير صفحة ١٢٦.



A Section Section

## الفصلالثالث

- (٣٨) انظر ه. بيرين H. Pirenne محمد وشارلمان صفحة ١٤٣ ٢٦٠ .
  - . م مفحة Cl. Sanchez Albarnoz (٣٩)
- (٤٠) فيما يتعلق بجميع هذه المسألة انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر صفحة ٣٣ وما يلمها.
- (11) انظر دوزي تاريخ مسلمي اسبانيا طبعة جديدة جزء اول صفحة Gonzalez Palencia , و Simonet في دُكُر ذلك ايضاً F. Lot Ferdinand و F. Lot Ferdinand
- (٤٢) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر صفحة ٣٥. يجب تذكر ايضاً زواج الفونس السادس القشتالي بأميرة مسلمة (ليفي بروفنسال ، Mara Zaida ، زوجة الفونس السادس القشتالي وولدهما في مجلة Hespéris جزء XVIII ، ١٩٣٤ صفحة ١ ٨ .
- (٤٣) هـذه الحوادث واردة بالتفصيل أن كتابي تبادل السفارات في مجلة . ١٩٣٧ Byzantion .

- (٤٤) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر ، صفحة ٢١٧.
  - (٥٤) المصدر نفسه صفحة ١٥٢ وما يليها.
  - (۲۶) « « به ملاحظة ۱.
    - . T\ TA . » » (£Y)
- A. Gonzalez أبحب تقريبات عمائلة في الاسلام والغرب لصاحبه والمبرتغال المصاحبه المحبه المحبة المربوية لصاحبه المحبة المحبة
- (00) قوائم ثمينة جداً قدمها A. Gonzalez Palencia إلا أنها نشرت في الاغلب على نحو خاطىء وذلك في المجلد التوطئة المؤلفة الجيل تحت عنوان Los Mozarabes de Tolede en los Siglos قي القرن

- الثاني عشر والثالث عشر ، مدريد ، ١٩٣٠ . انظر كذلك الملاحق المفيد التي وضعها Cl. Sanchez Albornaz لكتابه : دلا ١٨٦ مدريد ، ٢١١ ١٨٦ .
- (١٥) انظر الاستدعاء الإيحاثي محسب تخيل Cl. Sanchez Albornoz في انظر الاستدعاء الإيحاثي محسب الإيحاثي . ١٤٤ ١٤٣ ص
- (٥٢) انظر Cl. Sanchez Albornoz في كتابه اسبانيا والاسلام ص ١٠:

  « لم تستعمل المالك المسيحية ابداً مدة تقرب من ٤٠٠ سنة سوى
  العملات العربية والفرنجية وبقي ملوك قشتالة بعد ذلك ما يقرب
  من قرن كامل حتى ضربوا عمالة ذهبية . وكان تقليد العملات
  الفرنجية والعربية يجري بأمانة سواء من اجل ضرب القطع
  الفضية في اواخر القرن الحادي عشر أم من اجل صك العملات
  الذهبية في الثلث الاخير من القرن الثاني عشر ) .
  - (٥٣) انظر ليفي بروفنسال السيد كا ورد في التاريخ . ص ٧٢ .
- (٥٤) انظر R. Dozy في كتابه : تحريات في تاريخ اسبانيا وآدابها في المصور الوسطى ، طبعة ثالثة ، جزء اول ، ص ٢٠٤ .
- (٥٥) في كتابه Iglesias mozarabes ، مذيل بالبوم يحتوي على عدة منسوخات مصورة .
- (٥٦) الفن الاسباني -- المغربي والفن الروماني في مجلة Hespéris ، جزء XVII ، ٣٠٤٠ ، ص ٤٢ ٤٣ .

H. Pérès (۵۷) الشعر الاندلسي صفحة هع.

The state of the s

- (٥٨) في المجلد الاول من كتابه ابن حزم القرطبي ص ٤٨ وما يليها .
- (٥٩) يمكن قراءة ذلك في مقدمة K.Pétrof لطبعته لكتاب طوق الجامة ( ١٩١٥ ص ١٩١٤ ) .
  - (٦٠) انظر كتابي اسبانيا المسلمة في القرن العاشر ص ٣٧ ٢٩.
- La escatologia musulmana en la « Divina Comedia » مدريد المناقشات السيد Historia y critica de una Polémics من Boletin de la Real Academia Espanda من المنافية السيد المنافية الم
- عدد Revista Cubana عدد الأوروبي في مجلة Revista Cubana عدد كانون الثاني آذار ۱۹۳۷ ولست اعرف هذا المبحث حتى الآن إلا من خلال العرض الذي قدمه له السيد G. Cirot في الا من خلال العرض الذي قدمه له السيد Bulletin Hispanique
- (۱۳) تاریخ اسبانیا بقلم لویس برتراند ، فی مجموعة ا. فایارد ، « الدراسات التاریخیة الکبری » باریز ۱۹۳۲ صفحة ۳۰۹ ـ ۳۰۹ .
  - (٦٤) اسبانيا والاسلام ترجمة P. Guinard صفحة ه .
- (٦٥) السيد سانشز البورنوز يعين : « اساتذة الدراسات العربية في اسبانيا الحالية ، رببيرا Ribera ، آسين Asin ، غومس مورينو

متضلعين آخرين في العربية من الاسبان ، اقل سنا ، وكذلك متضلعين آخرين في العربية من الاسبان ، اقل سنا ، وكذلك المدرسة الشرقية الافرنسية التي جددت التنقيب العلمي في الاندلس منذ حوالي عشر سنين . ومخاصة في الرباط ثم الجزائر .



طبخ هذذا الكِتابُ عَلى مَطابِع وَالْمِمُكَّدَ بَدِّ الْمُحِياةُ لَلطَبَّاعَةَ وَالْمُشْرِ بَيْدُونَ . عَنابِع شَرِيَيا معلِمُون ٢٠٠٠

